الأقـــزام الافريقيـــون

الدكتور فاروق عبد الجواد شويقة
مدرس الانتروبولوجيا الطبيعية
جامعة القاهرة

The African Pygmies
(The Negrillos)
An Ethnoecolgical * Study

ABSTRACT

In this paper, the author shall attempt to throw some light on the nature of the origin, morphological features, social organization and relationships and cultures of the African Pygmies. This paper is based on the recent literature available in the subject and upon Turnbull's fieldwork studies.

The author as he is a physical Anthropologist and a geographer hope that his paper can give an idea bout the ethnoecological (stirpseecological) study the African Pygmies.

The paper have various sbjects and approaches emphasize the wideness of the topics under discussion and perhaps enhance the interest. The study explain the difference between the two meaning : dwarf, pygmy, and show that it is much better to call them the "African Pygmies".

The Negrillo as Hamy (1872) called them and the African Pygmies as I prefer to call them may be divided into three principal ethnoecological groups:

a) Bambutis, the eastern pygmies, who live in the basisns of the Ituri and Welle rivers as far as the Bomokandi, all tributaries of the Congo river.

b) Batwa, the central pygmies, they call themselves by this name but the neighboiing tribes dispersed in the jungle in the great bend of Congo river.

c) Babinga, the western pygmies who lives in the Republic of Central Africa and the Cameroon. They consist mainly of three subtribes : Bageilli Babongeo ; and Babinga.

---

* كان يمكن إستعمال مصطلح Stirpsecological (أنظر المقدمة) ، ولكن: نظراً لعدم إنتشاره بعد فقد فضل إستعمال المصطلح الشائع .

All of them inhabit the equatorial rain forest mainly in the Congo basin in central Africa(so they refer to call themselfs the forst people.

The most striking feature of the African pygmies is ; of course, their short stature : on an average (Mbuti;, 144 cm. in the adult male and 137 cm. in the in the adult female, these are - as Martin Gusinde see and say - the lowest values ever recorded in any human group. The African Pygmies have a big head relative to the body, it is only a little shorter in length than that of the Bantu of the other inhabitants of the mosit forest and neary equal in breadth. The breadth of the nose generally exceeds its height, depressed at the root and often bulging only at the nostrils, it looks like an equilateral only at the nostrils, it looks like an equilateral triangel laid on the face which have a wide mouth and thin lips. This were the most conspicuous and important features.

The study shows that the African Pygmies are one unic race and they are different from the negroid race and people. It also appears that they are differ in many characters from the Negrite especially in skin colour and serology

There is no form of centralized authority among the African Pygmies The Mbuti subdivision into : Aka, Efe and Sua is not a political one of their own, nor does it correpond with any clear biological differentiation.

The African Pygmies depends totally in their live upon : gathering, hunting and fishing. An example of symibotic trade relations is found in the society of the African Pygmies of the Ituri forest, whom are dwarfed people differing from their Negre neighbors.

We find them eating domesticated plantains along with game and wild vegetable foods, and using well-made tools and weapons of iron, as well as manufactured articles that are clearly beyond their ability to make. All these advanced artifacts are obtained from the Negro societies by trade.

In returen the African Pygmies supply the Negro villages with meat, hids, wild honey, forest fruits, roofing leaves for houses and rattans and fibers for mat making. They serve also as scouts and spies for the Negroes of the territory in which they live, giving warning at the approuch of raiding parites from adjacent areas.

Indeed, the study of the African Pygmies is the professional interest of the anthropologists in primitive societies of Africa.

Accordingly to the unproductive society of the African Pygmies, it seems that they will going on to be disappeared sooner or later.

Gawad, Faruq A. S.

مقـــدمة

تزايد الاهتمام فى السنوات الأخيرة بالدراسات الايكولوجية ، تلك الدراسات التى تعتبر بحق حلقة الصلة والوصل بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية كما أنها تمثل حجر الزاوية فى عمليات التنمية الاقتصادية التى يهدف إليها الإنسان لتحقيق أهدافه من الوصول للرفاهية المادية(١) والتى تعتبر بدورها أساساً مهماً من أسس الاستقرار المعنوى للإنسان(٢) .

لذلك فقد شرع الباحثون والكتاب فى البحث والكتابة فى هذا المجال رغم تباين إتجاهاتهم الدراسية والبحثية ورغم إختلاف تخصصاتهم العلمية الموضوعية ، ولما كانت الدراسات الايكولوجية تهتم بدراسة التفاعل المتبادل بين الإنسان والبيئة أو بين البيئة والإنسان على اختلاف المنحى والمدخل الدراسى فانه كان طبيعياً أن يزداد إهتمام الانتروبولوجيين بها(*).

---

(١) فاروق عبد الجواد شويقة : « الأكلوجيا البشرية » فى : مجلة الدراسات الافريقية . ع ٣ ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٨٣ — ٢٠١

(٢) فاروق عبد الجواد شويقة : « الإنسان .. الإنسان ؛ دراسة مستوحاة من القرآن الكريم ودعوة إلى تكوين وعلم جديد » فى : مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة (١٩٧١)

(*) من البحوث والدراسات التى نشرت فى هذا المجال : —

أحمد أبو زيد : « التنمية الاقتصادية والتغير الاجتماعى فى أفريقيا مثال من السودان : مشروع الازاندى » فى : المجلة الاجتماعية القومية — القاهرة ، مج ١ ، ع ٣ ، بسبتمبر ١٩٦٤ ، ص ٤٥ — ٧٦

حسن الساعاتى : التصنيع والعمران ؛ بحث ميدانى للاسكندرية وعمالها . ط ٢ . القاهرة دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢

محمد رياض وكوثر عبد الرسول : « سيالة ؛ مساهمة فى دراسة أيكولوجية النوبة المصرية » فى : حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس . ج ٧ ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٦٧ — ٩٧

عاطف وصفى : الانثروبولوجيا الثقافية . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥

Garlick, J.P. & Keay, R.W.J. (ed) : Human Ecology and the Tropics. Oxfard, Pergmon Press, 1970

هذا وتعتبر دراسة بيئة الشعوب ethnoecology أو الشعوب فى بيئاتها من المجالات الهامة فى الدراسات الايكولوجية والدراسات الانثروبولوجية على حد سواء ويشارك فيها كل من الجغرافيين المهتمين بدراسة الشعوب بقدر إهتمام الانثروبولوجيين المهتمين بالمنحى والمنهج الاكلوجى(*).

وموضوع المقال المعروض يدخل فى هذا المجال ، مجال الانثروبولوجيا التى تهتم ضمن ما تهتم به تصنيف الشعوب على أساس خصائصها السلالية والثقافية ، ومجال الاكلوجيا التى تدرس التفاعل المتبادل بين الإنسان والبيئة .

ولما كان جون ر. باكر Baker, John R. قد إستعمل مصطلح Stirps (الجمع Stirpes) وهو ذا أصل لاتينى ويعنى بالإنجليزية أسرة أو فرع من أسرة كما يعنى الجد الأعلى لأسرة ما (**) ، وذلك للدلالة على مفهوم العرق ethnic (١)، فاننا نفضل إستعماله بدلا من إستعمال المصطلح الإنجليزى الشائع حالياً (ethnic) وذلك نظراً لما حدث من خلط بين هذا المصطلح الأخير وبين مفهوم شعب people وأصبح العبء الآن لمركزاً على إختيار مصطلح عربى مقابل له .

= Greenwood, Hed H. & Edwards, J. M.B. : Human Environments and. Natural Systems. Belmont California, Duxbury Press, 1973

Owen, D.F. : Man is Environmental Predicament ; An Introduction to Human Ecology in Tropical Africa. London, Oxford Univ. Press, 1973

Polunin, Nicholas (ed.) : The Environmental Future. London. The Macmillan Press, 1972

Vayda, Andrew P. (ed) : Environment and Cultural Behavior ; Ecological Studies in Cultural Anthropology. Naw York, PN, 1969

(*) من البحوث التى أجريت فى هذا المجال : —

أحمد أبو زيد : « سكان برقة (ليبيا) ؛ دراسة فى الانثروبولوجيا الاجتماعية » فى : القاهرة ، محاضرات الجمعية الجغرافية المصرية ، الموسم الثقافى لعام ١٩٦١ ، ص ١٦٢ — ١٨٨

محمد رياض : « العبابدة ؛ دراسة فى الاقتصاد الصحراوى » . فى : القاهرة ، محاضرات الجمعية الجغرافية المصرية ، الموسم الثقافى لعام ١٩٦١ ، ص ٩٨ — ١٣٤

Alland, Alexander Jr. : "Ecology and Adaptation to Parasitic Diseases. "In : Vayda, Andrww P. : Environment and Cultural Behavior. New York, The Natural History Press, 1969, p. 80-89

(**) Webster's Third New International Disctionery. Springfield, G. & C. Merriam Co(, 1967 p. 2246 First colum

(١) Baker John R. : Race. Oxford Univ. Press, 1974, p. 5

هذا وقد ظهر مع نهاية الربع الأخير من القرن التاسع عشر إهتمام جديد أطلق عليه الاثنولوجيا الجديدة New Ethnology وهى التى تهتم بنشاط النوع الإنسانى(١) وتطوره وتقدمه،وقد إتسع نطاق إهتمامها منذ كتب هكسلى كتابه: « مكان الإنسان من الطبيعة 'Man's Place in Nature » عام ١٨٦٣(٢)، وقد تطور مجـال نطاق هذا المفهوم الجديد إلى الاهتمام بنشاط الشعوب فى بيئاتها أو مواطنها الأصلية ودراسة مدى وأسباب الاختلافات السائدة بينها .

وتتطلب دراسة مجال هذا المفهوم أيضاً ، الإهتمام بدراسة مفهوم السلالة وسائر المفاهيم والمصطلحات البديلة التى شاع إستعمالها فى التداول العلمى والدراسى ، فالملاحظ أن الفرق بين الفكر القديم للمدرسة الانثروبولوجية والفكر الجديد لها فيما يتعلق بمفهوم السلالة،هو أن الفكر القديم الذى شاع وانتشر خاصة بعد نشر كتاب ألفرد كورت هادون Haddon, A. C. (*)(١٨٥٥ ــ ١٩٤٠) الذى نشر بعنوان Races of Man كان يقول بأن البشر ينقسمون ثلاثة أجناس رئيسية هم : أصحاب السمات القوقازية ، وأصحاب السمات الزنجية، وأصحاب السمات المغولية، وأن كل جنس من هذه الأجناس(**)ينقسم بدوره إلى سلالات . ولقد شاع هذا الرأى وإنتقل فى إحدى المراحل إلى الشرق (٣)، ويبدو أن هذا الرأى كان يعتمد على إختلاف السمات الظاهرية Phenotypes فقط ، ولـكن أمام الفـكر الجديد فى هذا المجال وهو الذى شاع منذ أن نشر آشلى مونتاجو Montagu, Ashley الطبعة

---

(١) McGee, W.J.: "Man's place in Nature". *In* : Darnell, Regna (ed.): Readings in the history of Anthropology. New York, Harper & Row Pub. 1974, p. 235

(٢) Ibid, p. 236

(*) نشرته مطبعة جامعة كامبروج عام ١٩٢٤ فى نيويورك .

(**) ترجم محمد عوض Races بـ « أجناس » حيث ترجم عنوان ذلك الكتاب إلى الأجناس البشرية (أنظر : الشعوب والسلالات الأفريقية . القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٥ ، ص ١٤) .

(٣) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية ، ص ١٥

الأولى عام ١٩٤٥ من كتابه An Introduction to Physical Anthropology (×) وما تبعه من دراسات كثيرة والتى أثبتت الترابط القوى بين الأهلة (الأنماط الجينية Genotypes) وبين السمات الظاهرية ، فقد أصبح المفهوم العام الشائع هو وحدة الجنس البشرى كله (وعاء جينياً واحداً one genepool) وهو الذى يمكن لأفراده أن يتزاوجوا فيما بينهم دون ما حواجز جينية من أى نمط ، مما جعل الجنس البشرى الحالى كله نوعاً إنسانياً واحداً يطلق عليه Home Sapian ولقد تأكدت هذه الفكرة لدرجة رفض أى فكرة تنادى بوجود فروق جينية بين مجموعاته (مثل نظرية كون Coon, C.S الخاصة بأشباه الأنواع وبتعدد الأصول) (=) وقد إنتشرت نظرية وحدة النوع الإنسانى وتحقق من سلامتها وأصبحت حقيقة علمية سادت فى الغرب والشرق على الـ واء (*) ونادى بها فى العالم العربى كثير من المتخصصين التقدميين أمثال محمد السيد غلاب(**)ومحمد رياض أحمد رياض .

وبحق إن أى بحث فى التاريخ البشرى الذى لا يمكن أن تستغنى عنه دراسة ما ، لا يمكن أن يعتبر بحثاً كاملا . إذا لم يتضمن شيئاً عن مشكاة السلالات(١) . ويبدو

(×) نشرته دار شارلس توماس Charles C Thomas فى سبرنجفياد Spreingfield التى تهتم إهتماماً خاصاً بنشر موضوعات الانثروبولوجيا الطبيعية .

(=) الذى قال فيها بأن المجموعات السلالية وهى فى رأيه خمس : القوقازية ، والزنجية ، والمغولية ، والاسترالية ، والكيبوائية ؛ تكون أشباه أنواع Subspeices ترجع كل منها فى الأصل إلى سلف واحد معين (أنظر : Coon, C.S: The Origen of Races. London, Jonathan Cape, 1962.)

(*) من أهم الداعين لها : آشيلى مونتاجو Montagu, A. ، ودوبزانسكى Dobzhansky, وغيرهما أنظر : Montagu, A. : The Idea of Race. Lincoln, Univ. of Nebraska Press, 1965

Dobzhansky T. : Mankind Evolving. New Haven, Yale Univ. Press, 1960

Nesturkh, M. : The Races of Mankined. 2 nd pr. Moscow, Progress Publishers, 1965

(**) فى مقالته : مائة سنة بعد دارون ؛ ثلاث كتب فى الانثروبولوجيا » . فى : المجلة الجغرافية العربية . ع ١ ، ١٩٦٨ ، ص ١١٨ – ١٣١ وماكتبه فى مقدمة ترجمته لكتاب كون The Living Races of Man الذى نشرته مكتبة الأنجلو المصرية فى القاهرة عام ١٩٧٥ .

(١) Linton, Ralph : Tree of Culture. New York, H Alfred A. Khopf, 1955, p. 21.

أن أهمية دراسة السلالات تتركز حالياً فى الكثير من الجوانب العلمية مثل دراسة المناعة ضد الأمراض والتأقلم على أنواع معينة من المناخ(١) ، وهى تلك الدراسة التى بدأ الاهتمام يزداد بها حالياً تحت موضوع علم الأمراض الجغرافى(٢)الذى يعتبر بحق أحدالمجالات الهامة فى الايكولوجيا(*) البشرية(٣). أما دراسة الأقزام الأفريقيين فقد إهتم بها الكثيرون من الرحالة والباحثين منذ سنوات بعيدة كان منهم سير هارى جونستون Johnston, Harry (١٩٠٢) الذى أطلق عليهم لفظ أوكابى Okabi(٤) وأحضر منهم إلى لندن أربعة رجال وامرأتين حيث كانوا محل إهتمام ودراسة الباحثين .أما اليوم فيطلق الأقزام على أنفسهم لفظ أهل الغابةThe Forest People(٥)

والمقال المعروض يعتمد على الدراسة والإقامة الميدانية التى قام بها عدة باحثين أهمهم كولين م . تورنبول .Turnbull, Colin M الذى يعد حجة فى الدراسات المتعلقة بالأقزام الأفريقيين وهو الذى إستقر فى مجتمع المبوتى مدة طويلة إمتدت سنوات عدة(٦) فى إقامة دراسية على ثلاث مراحل : ١٩٥١ ، ١٩٥٤ — ١٩٥٥ ، ١٩٥٧—١٩٥٨(٧)إهتم خلالها بدراسة أحوالهم الايكولوجية والثقافية والاجتماعية .

ويعتبر الأقزام فى أفريقيا من أقدم سلالات القارة إذ أنهم أكثر قدماً فيها من السلالة الزنجية (٨) ، ويعد المبوتى Mbuti النموذج الانثروبولوجى الحقيقى للجماعات

---

(١) Ibid, p. 28

(٢) سايتية ، أليس سونية : « علم الأمراض الجغرافى فى المناطق المدارية » . محاضرة ألقيت فى الجمعية الجغرافية المصرية بالقاهرة يوم الأربعاء ٢٩ ديسمبر ١٩٧٦ بمناسبة عيد الجمعية المئوى .

(*) أعود إلى الحق والأصح فى كتابتها وهو الإيكولوجيا نقلا عن الأصل اليونانى .

(٣) فاروق عبد الجواد شويقة : الأكلوجيا البشرية ، ص ١٨٣ — ٢٠١

(٤) Jehnston, Sir Harry H. : The Opening up of Africa. New York, Herry Holt & Co., 1911, 12

(٥) Turnbull, Colin M. : The Forest People; A study of the Pygmies of the Congo. 7the pr. New Yor Simon ans Schuster, 1961, p. 7

(٦) Ibit, p. 21.

(٧) Gibbs, James L. (ed.):Peoples of Africa, New York, Holt,1965, p.208

(٨) Delafasse, Maurice : The Negroes of Africa ; History and Culture, Translated from the French by F. Fligelman. Pirt Washingtan. Kennikat Press, 1968, p. 6

القزمية الأفريقية (١)لذا فقد إعتبرتهم الدراسة مجالها الأول والمباشر حيث أن النتائج المستخلصة من مجتمعهم تصدق إلى حد كبير على سائر مجتمعات الأقزام الأفريقيين وذلك للتشابه الايكولوجى الكبير بين بيئاتها .

القزامة والقماءة والنجريللو والنجريتو

تتشابه وتتقارب فى المفهوم إلى الحد بعيد كل من لفظ القزامة pygmoid والقماءة dwarfism ، ولـكن مع ذلك هناك فروقاً فى الدلالة التى يحملها كل مصطلح منهما يجب أن تتأكد وينتشر فهمها بين الخاصة قبل العامة .

القزامة والقماءة لغويا رتاريخيا واكلوجيا :

يعتبر مصطلح « قزم » من المصطلحات القديمة التى عرفها الإنسان ، فقد ورد ذكر الأقزام على لسان هوميروس Homerus (*)وهيرودوت Herodotus(**)(٢) الذى أورد ذكرهم فى الكتاب الثالث فقرة ٢٧ من كتابه « التاريخ » وذلك أثناء كلامه عن شمال أفريقيا وصحراء ليبيا ومنابع النيل على لسان خمسة فتيان من الناسمونة سكان سيرتا قرب خليج قابس ، إختاروهم بالاقتراع وأرسلوهم للبحث عما فى الصحراء الكبرى ، حيث يذكر : « فالفتيان الخمسة المذكورين أرسلهم أصحابهم وقد زودوهم شيئاً كثيراً من الطعام والماء فدخلوا أولا بلاداً مأهولة ثم بلاداً فيها الوحوش الضارية بكثرة ثم تقدموا غرباً يتبطنون القفار حتى رأوا بعد سير طويل فى الرمال بقعة شجراء فدخلوها وأكلوا من ثمارها ، وبينما هم يأكلون انقضت عليهم جماعة من الناس قصار القامة وأخذوهم جبراً وساروا بهم فى أماكن كثيرة المناقع . وبعد أن إجتازوها وصلوا إلى بلد كل أهله سود البشرة أجسامهم صغيرة

---

(١) Hiernaux, Jean : The People of Africa. London, Weidenfeld and Nicolson 1974, p. 113

(*) الذى عاش فى القرن ٩ قبل الميلاد – كتب الا ايساذة والاوديسيا .

(**) عاش فى القرن ٥ قبل الميلاد .

(٢) The Oxford English Disctionary: Vol · VIII. Oxford, Clarendon Press, 1933, p. 1662 middle columan.

كالأولين وكان يشق البلد نهر كبير فيه تماسيح وهو يجرى من الغرب إلى الشرق»(١).

ويدل هذا على أن الأقزام كانوا يقطنون أعالى النيل ، ومما يؤكد ذلك ما ذكره أرسطو Aristotle فى كتابه « تاريخ الحيوان » من أن الأقزام يعيشون فى منطقة البحيرات التى ينبع منها نهر النيل (٢)، وهى المنطقة التى كان يطلق عليها المصريون القدماء أرض الأرواح (تا إخو) (٣) ، وهناك من الأدلة الكثير على قدم الأقزام فى أفريقيا؛ فقد كانوا معروفين عندهم أبان عهد بناة الأهرام(٤)وكانوا يطلقون عليهم لفظ « دنج » (٥) dng (*) ولقد عثر على نص يرجع إلى حكم الملك زد كارع (إسيس) من ملوك الأسرة الخامسة الفرعونية (٢٥٦٠ — ٢٤٢٠ ق . م .)(٦) يقول : « أرسل المستشار الملكى (باو ور دد) إلى بلاد بنت حيث أحضر قزماً من نوع نادر (٧)» وكان يشارك الأقزام آخرين بالرقص فى الحفلات الدينية (٨) ، كما

---

(١) جورجى زيدان : طبقات الأمم أو السلائل البشرية . القاهرة مطبعة الهلال ، ١٩١٢ ، ص ١٢١ — ١٢٢

(٢) Hiernaux, Jean : The People of Africa. London, Weidenfeld and Nicolson, 1974; p. 113

(٣) سليم حسن : مصر القديمة . ج ١ . القاهرة ، مطبعة الكوثر ، ١٩٤٠ ، ص ٢٨٧

(٤) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية . القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٤٢ .

(٥) سليم حسن : مصر القديمة ج ١ ، ص ٣٨٧

(*) وكان يكتب فى الهيروغليفية :-

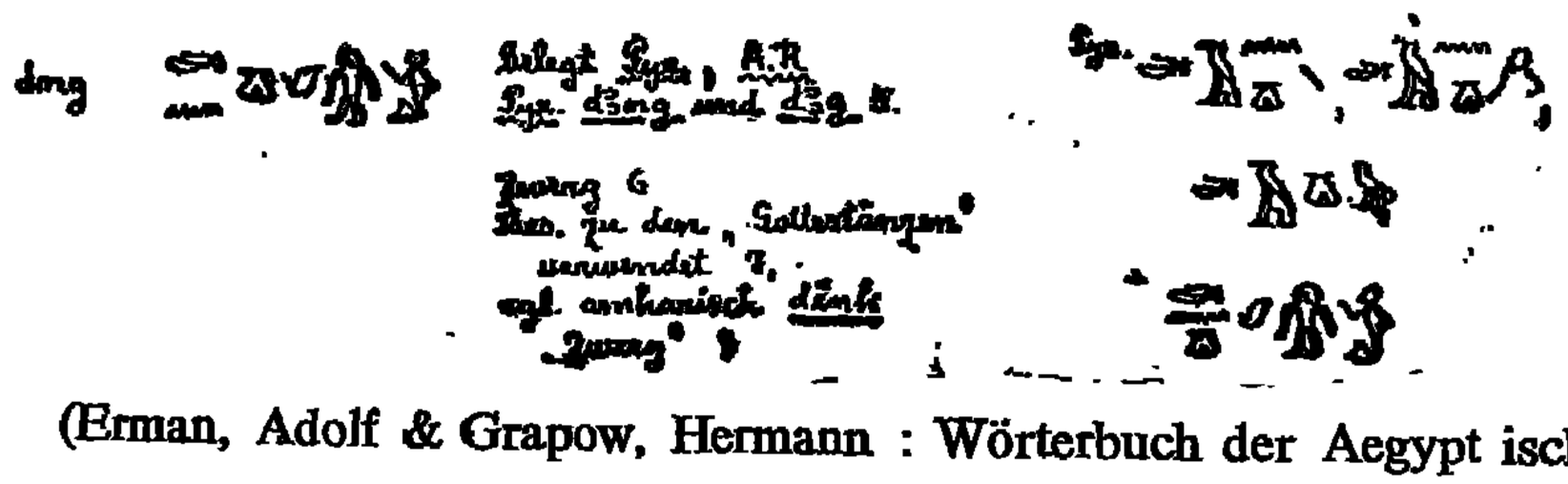

(Erman, Adolf & Grapow, Hermann : Wörterbuch der Aegypt ischen Sprache.Fünter band. Barlin, Akademie-Verlag, 1957, P. 470)

(٦) أحمد فخرى : مصر الفرعونية . ط ٣ . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧١ ، ص ١٤٦

(٧) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ١ ، ص ٣٤٨

(٨) نفس المكان .

عرفوا أيضاً فى مصر خلال الأسرة السادسة الفرعونية (٢٤٢٠–٢٢٨٠ ق. م)(**) حيث ورد ذكر لهم فى كتاب الموتى ، ويبدو أن أول أفراد وصلوا منهم كانوا للملك آسا Assa (٣٣٠٠ ق . م .) وكان قد جلبهم باورتت Bourtet من منطقة النيل الأبيض ، وبعد ذلك بنحو سبعين عاماً أرسل پيبي الثانى (نفر كارع)(***) حرخوف Herukhuf فى بعثة خاصة (**) لجلب « قزم أسود فى صحة جيدة من أرض الغابات فى الجنوب » كما ذكر على مدونات معبد الكرنك(١).

وكلمة الأقزام pygmy مشتقة فى الأصل من الكلمة اليونانية(*) Pygmaioi ويقول كون Coon, C. S. (٢) أن معناها الرجل الذى لا يزيد طوله على ما بين كوع الشخص العادى وأصابع قدميه ، ولكنها فى الحقيقة تدل على معنيين (٣) الأول (Pymaia) « شعب خرافى من الأقزام كان يظن الأغريق أنه يعيش فى أعالى النيل » والثانى (Pygme) « مقياس يونانى يساوى الذراع (= ٥ر١٣ بوصة تقريباً) ، كما تعنى أيضاً الملاكمة .

هذا ويرفض العلماء تسمية هؤلاء الأقزام باسم Dwarfs وهى جمع Dwarf التى تعنى قمىء = قزم ؟ (لا يوجد لها لفظ آخر فى العربية) وهو الذى يعنى صفة قصر القامة الشديد فى فرد معين وليست تسمية تطلق على صفة تسود سلالة كاملة . لذا يفضلوا إطلاق لفظ الأقزام عليهم(٤) ، ولعل أنسب مصطلح لهذه الحالة فى اللغة

(**) وهى آخر أسرات الدولة القديمة الفرعونية (أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٤٦)

(***) جلس على العرش وهو ابن ست سنوات وحكم مصر أكثر من ثلاثة أجيال (سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ١ ، ص ٣٩٨) .

(..) كانت رحلته الكشفية الرابعة إلى وسط أفريقيا (سليم حسن : نفس المصدر ، ص ٢٨٦)

(١) Keane, A. H. : Man ; Past and Present. Cambridge, Univ. Press, 1920, p. 122

(*) وتكتب πυγμή (Pygmè)

(٢) Coon, C.S. : The Living Races of Man. New York, Alfred A. Knorf, 1965, p. I02

(٣) Liddel - Scolt : Greek English Lexicon. (S.V. πυγμή) .

(٤) Delafose, Maurice: The Negroes of Africa; History and Culture. Trolated into English by : Filgelman, F.Port Waslingtan, Kennikat Press, 1968, p.7

العربية ضيغة الجمع لأقزام pygmies التى يمكن أن تطلق على السلالة القزمية وليس على الأفراد قصيرى القامة وصغيرى الأجسام ، الذين يظهروا نتيجة عوامل بيولوجية وراثية فى مجتمع تسود أفراده القامة الكاملة . هذا وكان أول دخول كلمة dwarf وتعنى إنسان أقل كثيراً من الشائع فى مجتمعه فى القامة والحجم (**) ، اللغة الإنجليزية عام ٦٨٦(١) ، ويرجع السبب البيولوجى للقماءة dwarfism (cretinism) إلى أحد أمرين : إما عدم اكتمال نمو الجسم أو نقص فى نمو الغضاريف achendrophasis(٢). هذا والقزم عامة هو الإنسان الذى قامته أقل من ١٥٠ سم (٥٩ بوصة)(٣).

وترتبط القزمية بمصطلحيها القزامة والقماءة معنوياً عند الكثيرين بالتصغير والتحقير لمن يتصف بها ، عكس الحال بالنسبة للعمالقة الذين يتميزون بالضخامة والكبر فى الأجسام وفى الأعمال والأفعال ، ولقد ظهرت الكثير من القصص والأعمال الأدبية(*) التى صورت هذه الفروق على أساس قانون النسبية (لوحة رقم١) والتى تحاول أن تربط بين قزمية الجسم وبين تفاهة التفكير والهدف ، هذا عن التصوير الأدبى للقزمية الذى يعبر عن الإحساس الإنسانى عند تشبيه بعض الناس بالقزمية والآخرين بالعملقة والربط بينها وبين السلوك(**) ، وفى الحقيقة فان صغر

(**) "A human being much below the ordinary stature size: a pygmy)"

(١) The Oxford English Dictionary, Vol. III. Oxford, Clarendon Press, 1933, p. 732 First column.

(٢) Meontagu, A. : Human Herodity. 2nd ed. Nes York, The World Publishers Co., 1963. p352.

(٣) Seligman, C.G. : Races of Africa. 4 th. ed. 2 nd Landan, Oxfored univ. Press, 1966, p. 3.

(*) قديماً قيل : تبين لى أن القماءة ذلة ٠٠ وأن أعزاء الرجال طيالها .

(ورد هذا البيت بلانسبة فى كتاب شزا العرف فى فن الصرف « للشيخ الحملاوى ») والقمىء = الذليل على فعيل والجمع قماء وقماء الأخيرة جمع عزيزة والأنثى قميئة (ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب . جـ ١ القاهرة . المطبعة الكبرى الميرية ، ١٨٨٢ ، ص ١٩٢) .

(**) منها : Swift, Gonathan : Guliver's Travels, parts I-IV London, Heinemann Education Books, 1964; Voltaire, F.: Les Voyage du baron de Gangon, 1939 (an earlier versian of micromêgas, 1752).

وفى الأدب الشعبى المصرى قصص كثيرة مشابهة مثل قصة « عقلة الصباع » وكلها أعمال أدبية تهدف إلى إظهار أن جلا ئل الأعمال هى التى ترفع من شأن الإنسان وتجعل منه عملاقاً بين أقزام ، كما أن تافه التصرفات تدنى الإنسان وتجعله قزماً صغيراً بين عمالقة .

الحجم أو القزم لا بأس عليه من ذلك ما دام عليم بحجمه وإمكاناته ولا يتعداها فى سلوكه ، وهذا هو التأقلم الأنسب مع البيئة وهو ما سنجده واضحاً بالنسبة للأقزام الأفريقيين .

(من : قصة جلفر)

شكل رقم (١) صورة تخيلية توضح العلاقة بين الأقزام
فى مدينتهم وبين إنسان عادى

ويقول البعض (١)أن القزمية ما هى إلا تلائم بيولوجى مع بيئة جغرافية محدودة الموارد خاصة إذا ما أضطرات أعداد كبيرة العدد إلى المعيشة معاً فيها . معنى هذا أن ملاءمة الأقزام لحياة الغابة ملائمة طبيعية فرضتها الظروف الاكوجية العامة (٢) ،

(١) Coon. C.S. : The Origin of Races. London, Jonathan cape, 1962, p. 113.

(٢) Swanson, Carl p. : The Natural histary of Man. New Jersy, Englewood cliffs, 1973, p. 17

ويقابل هذا رأى آخر يقول أن قزامة الأقزام وراثية (١)إذ أن بيئهم الحالية أغنى وأزخر بالغذاء من بيئة جيرانهم الزراع طوال القامة ، وعضلاتهم أكثر تماسكاً كما أن بنيتهم مكتنزة بالنسبة لارتفاع القامة (٢). ولكن يبدو أنه فى البدء كان للبيئة الدور الأكبر فى ظهور هذه الصفات التى تأكدت بفعل العوامل البيولوجية مع عوامل العزلة الاكلوجية ونمط الحياة الاستهلاكى الاستنزافى للبيئة .

ويقول كون أن الأقزام سواء فى أفريقيا أو آسيا أو أى مكان آخر ليسوا تحت نوع Subspecies ولا سلالة خاصة ؛ بل أنهم يمثلون نماذجاً وأنماطاً لأفراد صغار الحجم بين سلالات كاملة النمو (٣)سواء سالفة أو معاصرة ، ولكن يبدو أنه يصعب التسليم الكامل بهذا الرأى (٤)، فالغالب أنهم يعتبرون سلالة قائمة بذاتها كما قال مونتاجو(٥) (١٩٦٠) وغيره مثل محمد رياض(٦) (١٩٧٤) ودوبزانسكى (١٩٦٢) الذى يعتبر الأقزام الأفريقيين African Pygmies أحد السلالات الأربعة والثلاثين (*)التى قسم إليها دوبزانسكى Debzhansky, T. الجنس

---

(١) Hiernaux, Jean : The People of Africa. London, weidenfeld and Nicolsen, 1974, p. 117

(٢) Loc. Cit.

(٣) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 155

(٤) Millet, Jacques : Biologie des races Humaines. Paris Libraire Armand colin, 1952, p.30

(٥) Montagu, Ashely : An Introduction to Physical Anthropology. 3rd ed. Springfield, Thomas, 1960, p. 43

(٦) محمد رياض : الإنسان؛دراسة فى النوع والحضارة . ط ٢ . بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٠

(*) وهى السلالات التالية التى تشمل أهالى أو وطنيو المناطق التالية : شمال غرب أوربا – شمال شرق أوربا – الألب – البحر المتوسط – شبه القارة الهندية – تركوى – التبت – شمال الصين – المغول . الأصليون – اسكيمو – جنوب شرق آسيا – إينو – لاب – هنود أمريكا الشمالية – هنود أمريكا الوسطى – هنود أمريكا الجنوبية – فيجى – شرة أفريقيا – السودانيون – زنوج الغابة – البانتو – البوشمن والهوتنتوت– أقزام أفريقيا – دارفيديون – النجريتو – ميلانيزيا وبابوان–ميوريان– إستراليا – ميكرونيزيا – بولينيزيا – نيوهاواى – لا دينو (Ladino = اليهود الأسبان وهم أصل السفارديم) – ملونو أمريكا الشمالية – ملونو جنوب أفريقيا .

البشرى (١).

ومهما كان الأمر فان الأقزام يعتبرون إحدى السلالات الأربع الرئيسية فى أفريقية الزنجية(٢) ، وقد اتضحت نتائج هامة أخيراً من الدراسات الخاصة بالتغذية وبالكيمياء الحيوية ؛ إذ تبين وجود نقص واضح فى كسترول المصل serum cholesterol ونسبة مرتفعة بين البروتين فى المصل serum proteins (٣) ولـكن لم يستدل على العلاقة بينها وبين قزمية القامة ، هذا وقد استدل من أسباب ظهور القزمية عند أقزام أمريكا الوسطى أنها تظهر بسبب أمراض نقص البروتين Protein deficiency diseeses(٤) وكلها أمور تقوم فيها البيئة بدور ملموس ، هذا بالإضافة إلى الدلالة المورفولوجية التى يعطيها مصطلح البجمودية Pygmoid فانه يدل على الجماعات التى تزاول الصيد والجمع فى وسط الغابات الاستوائية(٥) .

النجريللو والنجريتو :

يبدو أن هناك إثنى عشر نمطاً وربما أكثر من الأقزام تعيش فى أفريقيا وجنوب آسيا وأندونيسيا وأمريكا ، ويبدو أن كلا منها قد تكون نتيجة تأثرات جغرافية (٦) اكلوجية . هـذا وقد إشتق مصطلح نجريللو Negrillo الذى يطلق على الأقزام فى القارة الأفريقية من صيغة التصغير فى اللغـة الإيطالية للفظ زنجى Negro ، أما مصطلح نجريتو Negriteo وهو الذى يطلق على أقزام القارة الآسيوية فقـد إشتق من صيغة التصغير أيضاً فى اللغة الأسبانية والإثنين (نجريللو ونجريتو) يعنى كلا منها الزنجى الصغير(٧) . ويبدو أن هذا نشأ من إلتصاق الأقزام وإعتمادهم على الزنوج فى أمور من الحياة كثيرة .

---

(١) Dobzhansky, T. : Mankind Evolving. New Haver, Yale Univ. Press, 1962, p. 264

(٢) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 65

(٣) Garn, Stanley M. : Human Races, p. 147

(٤) Loc. Cit.

(٥) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 123

(٦) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 34

(٧) محمد عوض محمد : الشعوب والسلا لا ت الأفريقية ، ص ٤١

هذا وكان بداية إطلاق مصطلح النجريللو على أقزام أفريقيا عندما إستعمله هامي Hamy, Erest R. (١٨٧٢) للدلالة عليهم (١) ، هـذا بينما يطلق عليهم بالفرنسية pygmêês (nêgrilles) (٢) وقـد وافق سليجمان Seligman, C. S. هامى عندما ذكر : « physically the Negrillos are truly pygmy »(٣) والنجريللو ينتشرون بعامة فى أفريقيا فى جيوب منعزلة من المنطقة المدارية الممتد من البحيرات العظمى الأفريقية إلى الجابون والكاميرون تقريباً فى شريط محصور ما بين خطى عرض ٤° شمالا و ٥° جنوباً (٤) .

وتتضمن السلالة القزمية أقزام كل من أفريقيا ، وجزز الاندامان، وشبه جزيرة الملايو (السيمانج) ، وجزر الفيلبين (النجريتو) وغيرهم وزغم تمايزهم فان هناك من لم يوافق على تخصيص سلالة خاصة بهم بل أدمجهم مع العناصر السوداء ذات الشعر المجعد مثل زنوج أفريقيا والميلانيزيون والبابوان والتسمانيون(٦) . ويقسم كون الأقزام إلى سلالتين هما : البجمى Pygmy والنجريتو Negrito ويذكر أنه يمكن أن تشتمل كل منهما على شعبين قزمين أو أكثر(٧) ، وهو الواقع فعلا فى كل من أفريقيا وآسيا وأمريكا .

ويعتقد جاتس Gates, R. R. أن النجريللو قـد نشأوا نتيجة تزاوج داخلى بين أفزاد غير متماثلين جينياً (*) يحملو طفرة قماءة بسيطة(٨) .

---

(١) Comas, Juan : Manual of Physical Anthropology. Springfied. charles C Thomas, 1960, p. 620

(٢) Meillet, A. & Cohen, Marcel (ed.) : Les Langaes du Monde. Paris, Centre National de la Recherche Scientifique, 1951, p. 842

(٣) Seligman, C.G., Races of Africa, p. 27

(٤) Comas, J. : or. cit., p 620

(٥) Coom, C.S. The Orgin of Races, p. II2

(٦) Loc. cit.

(٧) Coon. C.S.: The Living Races of Man, New York, Alfred A. Knorj, 1962, p. 6

(*) Heterozygous

(٨) Montagu, Ashely: An Introduction to physical Anthropology, 3rd ed. Springfield, charles C Thomes, 1960, p. 434.

هذا ويتفق كلا من هوتون Hooton, E.A. (١٩٣١) و كستد Eickstedt, Egonvon (١٨٣٣) وفالو Vallois, H.V. (١٩٤٨) على إعتبار الأقزام ضمن المجموعة ذات السمات الزنجية Negriferm [١] أما Montandon, G. (١٩٣٣) فيضعها فى النمط القزمى Pygmoid الذى يشمل :—

١ — ذوى العجز المتضخمة Steatopygous (ومنهم البوشمن والهوتنتوت) .

٢ — الأقزام (النجريللو Negrillos ، والنجريتو Negritos)[٢].

هذا ويتفق كوماس : Comas, J. [٣] مع كل من : ماتيجكا Matiegka, J. (١٩٣٨) ، مالى Maly. J. [٤] (١٩٣٨) ، بيلس Pales, L. [٥] (١٩٣٨) ، فى أن الأقزام الأفريقيين ليسوا كما كان يظن من قبل، من أنهم من السلالة الزنجية ولكنهم نمط سلالى خاص ، ويقال نفس الرأى على كل من أقزام آسيا وأقزام الاوقيانوسية .

ويتشابه التاريخ السلالى لكل من النجريللو والنجريتو إلى حد بعيد، فقد تعرض كل منهما إلى هجمات من عناصر أقوى ، اضطرتهم إلى الانزواء داخل أوطانهم الحالية المنعزلة، فقد تعرض النجريتو إلى دفع العناصر المغولية الأصلية التى وفدت من الصين ، مما إضطرهم إلى لإنزواء والعزلة[٦] أما النجريللو فقد كان لغزو الزنوج مكتملى النمو من السودانيين والبانتويين أثر واضح فى تقوقعهم فى أوطانهم الحالية ، داخل أعماق غابات حوض الكونغو .

---

(١) Comas, Juan : Manual of Physical Anthropology, p. 593 - 596

(٢) Ibid, p. 595

(٣) Ibid, p. 621

(٤) Matiegka, J. et Maly, J. : "Etude de quarture squelettes de Pygméés centre-africains du bassin de L'Ituri "*In* : L". Anthropologie, Vol. 48, 1938, p. 237 - 248, 521 - 238

(٥) Pales, L. "Contributoin à L. étude anthropologie des Babinga de l'Afrique Equatoriale Francaise". *In*: L' Anthropologie, Vol. 48, 1938, p. 503-520

(٦) Cöon, C.S. : The Living Races of Man, p. 156

ويذكر الانثروبولوجيون فى تعريفهم القـاموسى (١) للنجريللو Negrillos أنهم « الأقزام الأفريقيين وهم أقصر الأقزام (٤ أقدام ، ٦ بوصات فى المتوسط) ، ويعيشون بعامة فى غابات الكونغو ، وهم ذوى رؤوس متوسطة وحجم فراغ دماغهم ١٣٠٠ سم٣ ، أما النجريتو Negritos فيذكر التعريف القاموسى (٢) الذى ذكره الانثروبولوجيون أنهم : « أقزام الفيلبين وآن متوسط قامتهم٤ أقدام و ٨ بوصات وأن فكهم بارزاً ، وأنفهم عريض مسطح وبشرتهم تدور ما بين البنى الغامق والمحمرة »،ويطلق أحياناً هذا اللفظ على أقزام جنوب شرق آسيا ، ويعتبر البعض النجريتو أقل المجموعات البشرية حضارة ،وأنهم كانوا ينتشرون فى غابات الكونغو وشبه جزيرة الملايو وغينيا الجديدة وفى الهند القديمة وأن بقاياهم تتمثل فى جزر الاندامان التى تعتبر المنطقة الوحيدة فى العالم التى كل مواطنوها من الأقزام النجريتو (*) . ويشمل النجريتو عدة شعوب فى جنوب شرق آسيا وهى :ـ

١ ـ الاندامان Andamanese وهم أهالى جزر الاندامان فى خليج البنغال .

٢ ـ السمانج Semang وهم مواطنو المنطقة الوسطى من شبه جزيرة الملايو وشرق جزيرة سومطرة .

٣ ـ الايتا Aeta وماماتوا Mamanua ويقطنون جزيرة لوزون من جزر الفيلبين.

٤ ـ التايرو Tapiro فى القسم الأندونيسى من غينيا الجديدة ويحملون شبهاً قوياً بالميلانيزيين كهؤلاء الذين يعيشون فى نيو كاليدونيا حيث تبلغ قامتهم ١٥٠ ـ ١٥٢ سم ، وأيضاً جماعة أيومى Aiome التى تعيش فى ذات البيئة معهم(٣) .

---

(١) Winick, Charles : Dictionary of Anthropology . New York, Phylosophical Library, 1956, p. 380 left celum.

(٢) Ibid, p. 380 right column.

(*) وهى المنطقة والمجتمع الذى قصدهم سويفت Swift, J. ووصفهم فى قصة جلفر Galifer

(٣) Gates, R.R. : "The Melanesian Swarf Tribe of Aiomz, New Guinea".In: AGMG. Vol. 10, NO. 3, 1961, p. 277-311; After: Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 115

هذا ويتميز النجريتو عامة بأن لون بشرتهم أكثر دكانة من الأهالى المجاورين لهم كما أن لهم شعر مجعد ، وبعض الصفات الزنجية الأخرى وهم فى غينيا الجديدة يشتركون فى هذه الصفات مع باقى الأهالى وإن كانوا يختلفون عنهم فقط فى القامة . وكل هذه الصفات جعلت البعض يظن وجود صلة ما مع أقزام النجريتو فى القارة الأفريقية(١) ويكون النجريتو الأساس السلالى لمنطقة جنوب شرق آسيا ، إذ يلاحظ التعرف على صفاتهم بين سكان هذه المنطقة بعامة خاصة كامبوذيا(٢) ، هذا ويعيش فى جزيرة لوزون بالفلبين خمس جماعات من الأقزام النجريتو كما يعيش منهم أيضاً جماعة واحدة فى كل من مندناو وبلاوان وجميعهم يعيشون فى مناطق جبلية فوق تلال تغطيها الغابات ، ويشتهرون النجريللو الأفريقيون فى سرعة وخطة الحركة التى يلجئون إليها لصيد الحيوانات الصغيرة .

هذا ويتكون الأندمان من ثلاث مجموعات متمايزة : أهالى معظم جزر الأندمان الكبرى ، الأنج Onge فى الأندمان الصغرى ، الجارّاوا Jarawa فى جزيرة سنتينل الشمالية Sentinel North والقسم الجنوبى من جزر الأندمان الكبرى(٣) .

ويعتبر كون النجريتو سلالة قزمية محلية(٤) تمثل أحد أنماط ثلاث من المجموعة (أو شبة النوع Subspecies كما يحلو له أن يسميها) الأسترالية Australoid (*) .

---

(١) Downs, James F. & leibtreu, Hermann K. : Human Variation, p. 278

(٢) إبراهيم رزقانة : العائلة البشرية . القاهرة ، مكتبة الآداب ، ١٩٥٠ ، ص ١٩٨

Gardiner, Alen. H : Ancient Egyptian onomastica. repr. London Oxford Univ, Press, 1968, p. 99) .

(٣) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 179

(٤) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 426

(*) وهى التى تشمل :

(أ) كامل النمو ذوى شعر مستقيم أو موج وهم الاسترالين الأصليين Australoid proper

(ب) كامل النمو ذوى الشعر الزنجى وهم التسمانيون Tasmanian اسلاف الميلانيزيون Proto-Melanesian

(جـ) قزمى الحجم ذا شعر زنجى وهو النجريتو . Negritos

(Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 424).

هذا وتتباين صفات أقزام أفريقيا عن أقزام الإقيانوسية فى معظم الصفات فيما عدا القامة القزمية ولون البشرة الغامق dark ، ويبدو أن كل منهما يرجع إلى أصل وراثى Genepool مستقلة منفصل (١) ، ومع هـذا فان كون يعتبر الأقزام الأفريقيون قسماً من أقسام المجموعة الكونجوليـة Congoid التى تشمل معهم الأنماط المختلفة من زنوج أفريقيا (٢) . وبعامة يصعب القول بأن السلالة القزمية فى جنوب شرق آسيا تنتمى فى أصولها إلى أقزام أفريقيا ، لوجود أوجه إختلاف كبيرة بينهما لهذا فان الأمر يتطلب مزيداً من الكشوف التى تدلى بأدلة واضحة فى الموضوع (٣) ، هذا ويوجد أقزام آخرين فى أمريكا ظهرت فيهم صفة القماءة نتيجة أمراض النقص البروتينى Protein - deficiency diseasss (٤) فى الغـذاء ، وهـؤلاء يحملون صفات مغولية واضحة ويسمون هنود المايا ويسكنون مرتفعات جواتيمالا (أمريكا الوسطى) وبعض قرى مرتفعات كولومبيا (أمريكا الجنوبية) ، ولكن يبدو أن هذه الطائفة القزمية ليست من السلالات القزمية وإنما هى من الطوائف القزمية البيئية وهى صفة تزول بتحسن تغذية وصحة السكان وبتخفيف حدة التزاوج الداخلى فيما بينهم (٥) .

الجوانب الفيزيقية للانسان والبيئة

تترابط وتتشابك الجوانب الطبيعية للبيئة والإنسان الذى يحيا فيها ترابطاً واضحاً ملموسا ، ويبدو أن هذا التأثير يظهر نتيجة طبيعية للتأقلم الذى يلجأ إليه الإنسان كى يعيش ويستقر فى بيئته التى إختارها موطناً له ، وتنطبق هذه القاعدة على كل إمكانيات الحياة ، وتظهر بوضوح فى البيئات والأنماط البشرية الحدية التى تمثل النماذج المتطرفة ؛ كانسان وبيئة الأقزام الأفارقة .

---

(١) Beals , Ralph L. & Hoijer, Harry : An Introduction to Anthropology. 4 th ed. 2nd pr. New York. Macmillan Co., 1972, p. 81

(٢) Coon, C.S. : The living Races of Man, p. 6

(٣) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية ، ص ١٤

(٤) Garn, Stanley M. : Human Races. 2nd. ed. 3rd. pr. Springfield, Charles C Thomas, 1965, p. 147

(٥) Coon, S.C. : The Living Races of Man, p. 6

النشاة والبيئة :

يتفق كون Coon, C. S (١) مع جوسيند Gusined, M. (٢) وجيتس Gates, R. R. (٣) أن الأقزام الأفريقيين منحدرون من الأسلاف القدامى للحاميين وللكيبوانيين الذين كانوا يحيون فى نطاق الحشائش الشجرية فى أفريقيا، والذين إنزووا فى الغابات نتيجة تأثير الجفاف على المياه وعلى الصيد ، وقد إستقر الأقزام فى أوطانهم الحالية نتيجة زحف الزنوج عليهم (٤) إذ يبدو أنه قد بدأت منذ ألفى عام موجة من الزنوج تزحف على موطن الأقزام الأفريقيين فى غابات حوض الكونغو ، وكان الزحف الذى تم من الشمال بواسطة زنوج من الزراع خاصة من قبائل السودان الأوسط وهى التى زحفت من الشمال الشرقى ، أما القبائل المتكلمة باللغات النيجرية Nigritic الشرقية فقد زحفوا من الشمال، كما شاركت بعض القبائل البانتوية بالزحف من الشمال الغربى قادمة من نيجيريا ومرتفعات الكاميرون(٥).

وفى البداية لم يتم إمتزاج العناصر الجديدة إلا بعد أن أظهرت قدرة فى أدواتها الزراعية التى كانت تتبادلها مع منتجات الغابة من محاصيل وعاج ، وعلى هذا الأساس الإقتصادى التبادلى إستمر التعاون بين الأقزام وبين العناصر الزنجية المجاورة حتى اليوم ، وهى العناصر التى أصبحت تشغل كل الأوطان القديمة للأقزام ولم تترك لهم إلا بقاعاً صغيرة محدودة (أنظر خريطة رقم ١) .

ويبدو أن أسلاف الأقزام الأفريقيون من كاملى النمو كانوا على صلة قرابة وطبعاً تشابه بأسلاف الزنوج (٦) ، إذ يظن أن الأقزام الأفريقيين بقايا لسلالة قديمة من

---

(١) Coon, C.S. : Origin of Races, p. 654

(٢) Gusined, M : "Pygmies and Pygmoids. "In : Anthropolgical Querterly, Washington, Vol. 28, No. I, 1955, p. 3–61

(٣) Gates, R.R. : "The African Pygmies "*In* : Accta Geneticae Medicae et Gemellologiae, Rome, Vol. 7, 1958 , 195–218

(٤) Hoebel, E. Adamsan : Anthropology ; The study of Man. 4 th. ed. New York, Mc Grew - Hill Book co., 1972, p. 237

(٥) Murdock, G. P. : Africa; Its Peoples and Their Culture History. Now york, Mc Grow hill, 1959, p. 48

(٦) Coon, C. S. : The Origin of Races, p. 589

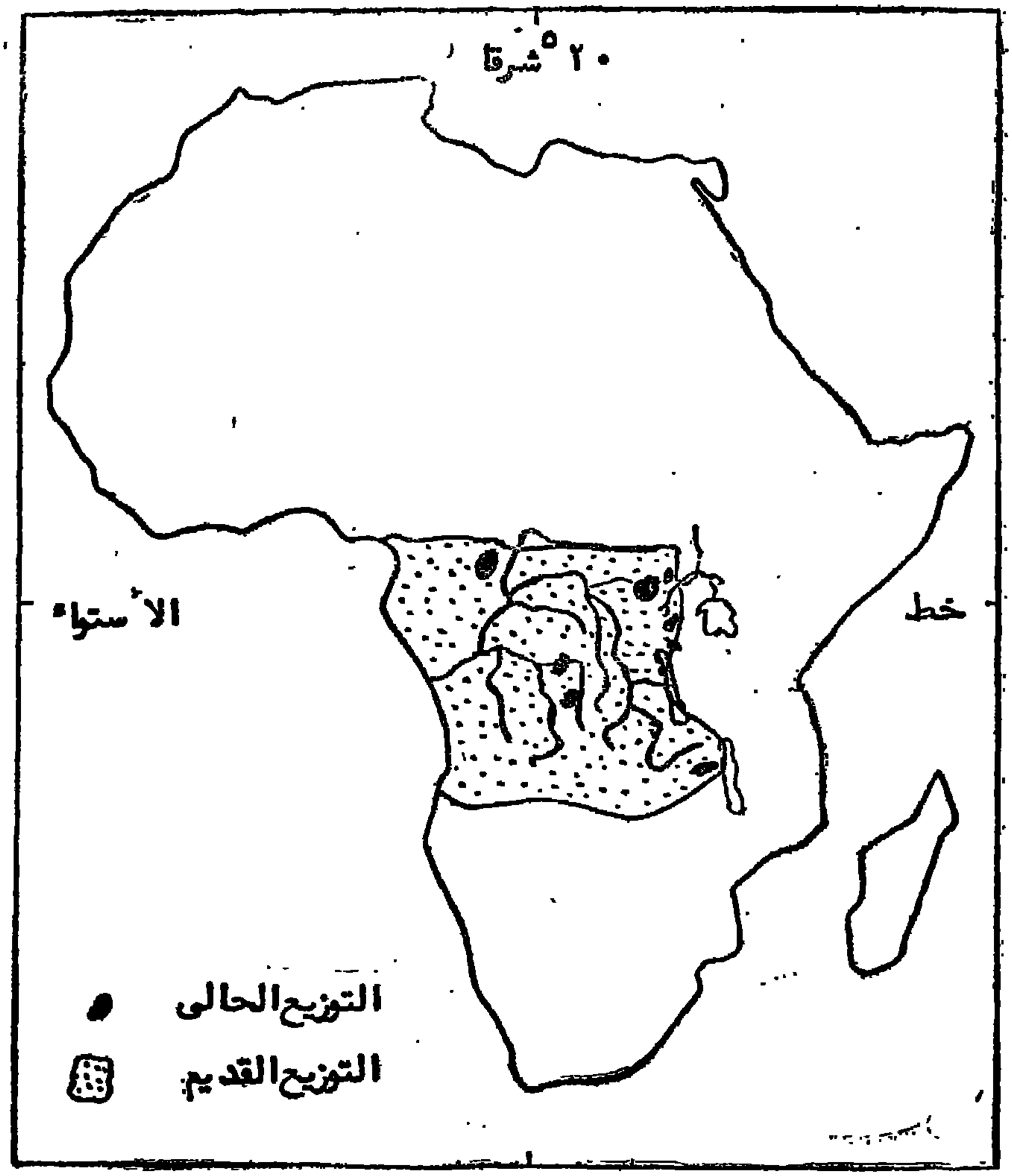

(معدلة عن : مردوك).

خريطة رقم ١ ــ التوزيع القديم والحديث للأقزام والجماعات القزمية فى أفريقيا

الزنوج كانت تسكن كل المنطقة الاستوائية وتنتشر من جنوب الصحراء خط تقسيم المياه بين الكونغو والزمبيزى ، ويستدلون على ذلك من وجود بعض البقايا حول جبل ألجن Eligon فى أوغندا بل وفى بلاد الحالا الغربية (١).

ويفترض كون أنه كانت هناك جماعة قديمة من أسلاف الزنوج Proto-negro ومن أسلاف الأقزام Proto-Pygmy تشبه تلك التى كانت توجد فى شرق وجنوب

---

(١) إبراهيم رزقانة : العائلة البشرية . القاهرة ، مكتبة الآداب ، ١٩٥٠ ، ص ٢٩٨

أفريقيا وكانت تعيش فى غرب أفريقيا خلال أواخر عصر البليستوسين بعيداً عن طريق هجرة الجماعة القفصية Copsein والجماعة الكيبوانية Capoid(١) ويفترض أيضاً أن هذه الجماعة الأخيرة قد إختلطت بالأقزام وكان ذلك سبباً فى توارث ظاهرة تكور bulbous الجبهة ، والعيون البارزة وباقى الصفات الطفلية(٢) (شكل رقم ١) .

إذا أردنا أن نتخيل سلف الأقزام نجـد أنه كان إنساناً ذا جسم ضخم ورأس كبير ووجه عريض وأنف عريض وفتحة عين واسعة وربما ذا عظام

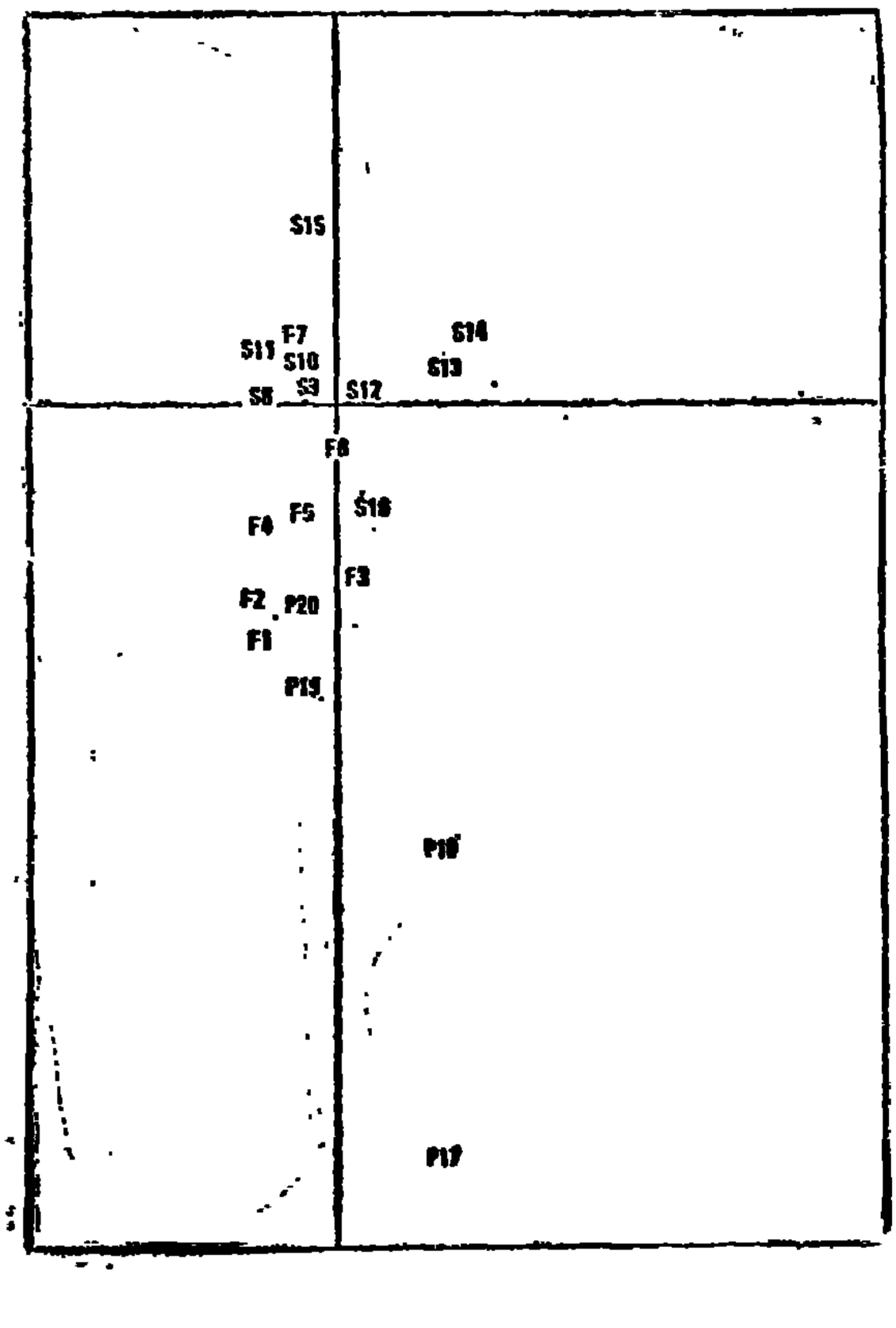

الزراع فى الغابة (F)

1 Humu-Amba, 2 Mvuba,
3 forest Bira, 4 Nyanga.
5 Tembo, 6 Lega,
7 Oto Ekonda.

الزراع فى السافانا (S)

8 Swaga, 9 Shu,
10 Havu, 11 Hunde,
12 Shi, 13 Hutu of Burundi,
14 Hutu of Rwanda, 15 Bushong.
16 savanna Bira.

الأقزام والمقتز

17 Mbuti, 18 Twa of Rwanda and Buruudi, 19 Twa Kuba,
20 Twa Ekonda.

(من : هرنيو)

شكل رقم ١ ـ خريطة مقارنات توضح علاقة قامة بعض قبائل الاقزام والجماعات القزمية والزراع المجاورين بظروف البيئة (الغابة ، السافانا)

(١) Coon, C.S. : The Orgigin of Races, p.655

(٢) Lac. Cit.

حاجب ضخمة أى أنه كان كامل النمو ، ويبدو أن البشرة كانت سوداء أو ماهوجنيه (حيث يبدو أن الأقزام قد فتح لون بشرتهم فى الغابة) كما أن جسمه كان يكسوه الشعر ، والشفاه محدبة وغير مقلوبة بدلا من الشفاه الملفوفة السائدة عند الزنوج . مثل هذا الإنسان يبدو أنه قد إنحدر من مجموعة سالدانها — روديسيا — كيب فلاتس Saldarha-Raho desian - Cape Flats وسلف كل من الأقزام والزنوج ثم طرأ على الأقزام حالة الانحطاط فى القامة (١).

وإذا صدقت نظرية تعايش نوعين Species من البشر خلال فترة من عصر البلايستوسين الأوسط أو الأعلى وأن الإختلاف الموجود بين جماعتين من البشر يجعل منهما نوعين متباينين ، فان صح هذا فان الأقزام والوا — توتسى Wa-Tutsi فى رواندا وبوروندي يمثلان نوعين مختلفين بالنسبة للقامة (٢) .

وتعتبر أقدم البقايا الأثرية التى « عثر عليها فى نطاق الغابات الاستوائية حديثة حداً بالمقارنة بالمناطق الأخرى » ويبدو أنه ليس منذ أقل من ٢٠ ألف سنة كان يعيش الإنسان في الغابات الاستوائية ، ربما بسبب عدم وجود مواضع مناسبة للتنقيب ، ولكن لم يعثر على آلات حجرية في غابة أيتورى وعلى ذلك فليس لدينا أدلة عن حياة الأقزام القديمة فى الغابة حتى فترة العشرين ألف سنة الأخيرة (٣) .

هذا وكان يعتقد هنتنجتون Huntington, E. (٤) أن الأقزام سواء الأفريقيين Negrillos أو الأسيويين Negritos وكذلك الإستراليين الأصليين والعناصر الزنجية بعامة، قد تأثروا بالإنسان القرد منتصب القامة Pithecanthropus إن لم يكونوا من نسله ، ويبدو أن النجريللو كانوا من أصحاب ثقافة سانجوان Sangoan (*) (٥) وهى ، أقدم ثقافة حجرية عثر عليها فى المناطق الاستوائية الأفريقية، ويبدو أنها قد تم

---

(١) Ibid, p. 655

(٢) Ibid, p. 13

(٣) Hiernamp, Jean : The People of A frica, p. 114

(٤) Hungtington, E.: The character of Races. New York, Cherles Scribner Press, 1925, p. 39—40.

(*) سانجوان ثقافة من حضارة وسط أفريقيا الا ستوائية وفيها أصبحت الفأس اليدوية مثقاباً

(٥) Murdock, G.P. : Africa; p. 48

تقدمها فى نطاق السافانا الشجرية والتى أعطيت ثقافة لومبان Lupemban والتى تم تنميتها إلى ثقافة تشيتوليان Tshitolian (X)

ونظراً لعدم العثور على حفرية لإنسان قزمى يصعب الإجابة عن المدة التى مضت منذ استقرار الأقزام فى أوطانهم الحالية فى وسط الغابات الاستوائية وبسبب طبيعة تربة هذه المناطق ليس من المنتظر العثور على مثل هذه الحفرية (١).

هذا ولم يستدل على شىء من البقايا العظمية للمبوتى القدامى وعلى ذلك فانه يجب اللجوء إلى علم الكائنات البشرية البائدة Human Palaeontology لإلقاء مزيد من الضوء على هذا الموضوع (٢) ويبدو أن الآثار القديمة التى تؤكد قدم وعراقة المبوتى تؤكد أنهم أيضاً قد اكتسبوا صفاتهم البيولوجية والثقافية كوعاء جينى Genepool متميز ومتلائم مع بيئة الغابة الاستوائية منذ قرابة عشرين ألف سنة (٣).

ويظن أن كل من الأقزام والبوشمن يرجع فى الأصل إلى فرعين من السلالة الزنجية خاصة الزنوج الحقيقيين(٤) (زنوج الغابة) . ويبدو بمقارنة المبوتى مع جيرانهم (شكل رقم ٢) ولوضوح الفارق البيولوجى الكبير بينهم وبين الكيبوانيين Capoid (الخواسانيين Khoisan) يبدو أنهم قد وفدوا من منطقة غرب أفريقيا التى كانت تضم مخزون وطنى أفريقى كبير يختلف عن الخط الخواسانى (٥).

وعندما إنزوى الأقزام فى الغابة بدأت تظهر طفرة أو أكثر من طفرات القماءة dwarfing وهى تلك التى كانت قد بدأت عندهم قبل دخولهم الغابة وتلك التى أصبحت لها قيمة حيوية فى عملية الاختيار الطبيعى بالنسبة لهم ، ومن هذا المجال

(x) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 114

(١) Loc. cit.

(٢) Ibid, p. 117

(٣) Loc. cit.

(٤) إبراهيم رزقانة : العائلة البشرية ، ص ٢٩٩

(٥) Hiernaux, Jeau : The People of Africa, p. 117

يقول كون: « أنه لا يهم كثيراً إن كان الأقزام قد انحدروا ممن سلف واحد بكامل النمو أو من أسلاف تماثله متعددة(١) .

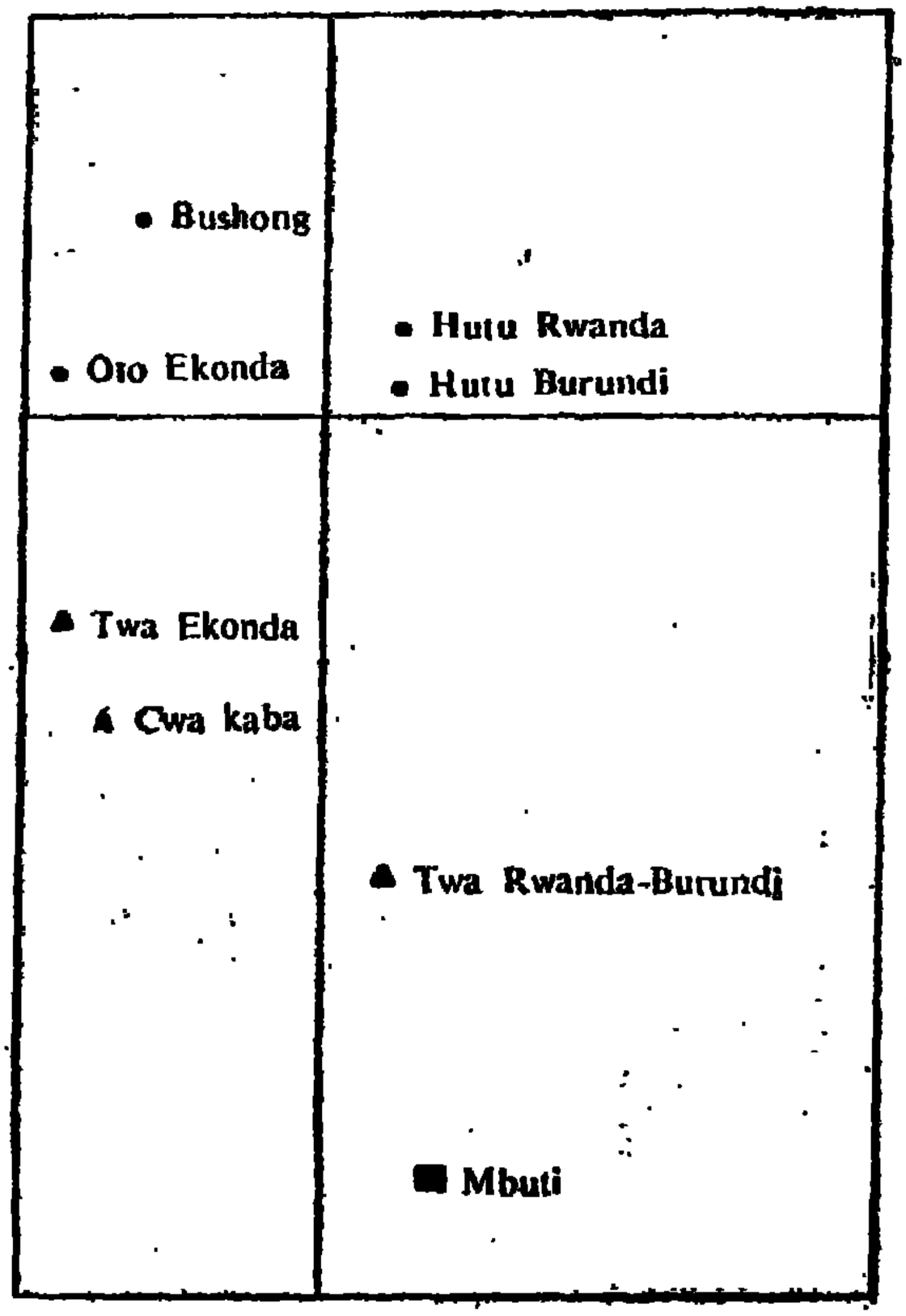

(من : هرنيو)

شكل رقم ٢ ــ خريطة مقارنات بين الأقزام والجماعات القزمية وجماعات الزراع المجاورين مبنية على عشر قياسات انثروبومترية مختلفة.

ويبدو أن أصل الأقزام شأنهم شأن الزنوج الأفريقيين سيظل غامضاً إلى أن يحين الوقت للكشف عن بقايا عظمية لأسلافهم خاصة فى المنطقة التى يظن أنها موطنهم الأول أو منطقــة تخصصهم area of characterization وهى نطاق السافانا والغابات فى غرب أفريقيا (٢) أو شمال شرق نيجيريا على وجه التحديد . ومما يزيد من هذا الغموض الانتشار الواسع لجماعات الأقزام فى العالم إذ يمتد توزيعهم

(١) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 655

(٢) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 92

الجغرافى من مناطق وجزر جنوب شرق آسيا إلى المكسيك غرباً حيث توجد بعض الجماعات القزمية بين الهنود الأمريكيين من نفس نمط أقزام أفريقيا achondroplasic يعيشون بالقرب من بحيرة شابالا Chapala فى غرب المكسيك (١) .

والجدير بالملاحظة أن هذا التوزيع يرتبط أساساً بالمناطق المدارية ، كما أن النجريتو أيضاً كالنجريللو كانوا مكتملى النمو من قبل وإن كانت هذه الأنماط قد قاربت على الانقراض حالياً (٢).

ويعتقد سيرجى(٣)أن أصل الأقزام كان فى القارة الأفريقية، وذلك إستنتاجاً من توزيعهم الجغرافى ، ويقول أنهم تبعوا سلالة البحر المتوسط (التى يقول أنها أصل السلالات والشعوب الأوربية كلها) فى انتقالها من أفريقيا إلى أوربا ، وبقى الأقزام معها يمثلون نموذجاً بيولوجياً من طبقة ذات مستوى أقل ، هذا ويشير سيرجى إلى انتشار القزمية فى جزر البحر المتوسط الأوربية خاصة سردينيا وصقلية، بينما يذكر أنها أقل انتشاراً فى شمال إيطاليا (وادى ألبو والبيدمونت) بل وربما غير موجودة (٤).

وعلى ذلك فيبدو بالضرورة أن أوطان أقزام أفريقيا كانت أكثر إتساعاً مما هى عليه الآن ، ذلك لأنهم كانوا وما زالوا يحترفون الصيد والجمع ، وكلا الحرفتين متشابهة . إذ أن الصيد سواء صيد البر أو صيد البحر ما هو إلا جمع للحيوان قسراً بغرض الإفادة منه إما فى الغذاء أو غير ذلك ، أما الجمع فهو ما يمكن تشبيهه بصيد النباتات لاستعمالها فى المأكل أو غيره من متطلبات الحياة الضرورية ، فهذه الحرفة بشقيها الجمع والصيد تتطلب أوطاناً متسعة ليعيش فيها من يزاولها ؛ حتى يجدوا ما يكفيهم من الغذاء .

ويبدو أن أوطان الأقزام كانت تمتد شمالا حيث كانت تشغل مساحات واسعة

---

(١) Cates, Raginaid Regilet : Human Genetics. New York, The nacmillaon co., 1946, p. 1322

(٢) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 179

(٣) Sergi, G. : The Mediterranean Race; A study of the Origin of European peoples. L nd n, 1901, p. 237

(٤) Lac. cit.

من غرب أفريقيا، وتذكر قصة النبلاء الخمسة من قبيلة العاسامون الذين كانوا يعيشون على ساحل خليج سرت ، وكيف أنهم إخترقوا الصحراء حتى وصلوا إلى بلاد فيها أشجار مثمرة وأرادوا قطف ثمارها فقبض عليهم بعض الرجال الصغار ، أطوالهم أقل من المعتاد ويرطنون بلسان غير مفهوم « أ . هـ . » (١).

ويبدو أن هذا المكان المذكور كان في مكان ما من حوض النيجر الأوسط، حيث كانت تمثل هذه المنطقة نهاية الطرق التي كانت تعبر الصحراء الأفريقية من الشمال إلى الجنوب (٢). وكانت تمتد أوطان الأقزام الأفريقيين إلى شرق أفريقيا (٣) كما كانت تتسع فتشمل منطقة بحر الغزال والبحيرات الكبرى فى وسط القارة وكذا الغابات والأدغال المنتشرة فى حوض الكونغو إلى بلاد الكاميرون وسواحل غينيا (سواحل غانا) ويغلب الظن أنهم كانوا يمرحون فى هذه المناطق مثل انتشار الزنوج فيها ، فقد عثر إلى الغرب من البحيرات العظمى الأفريقية على ثقافة سانجوان Sangoan التى ترجع إلى فترة تمتد من العصر الحجرى الأوسط Middle Paleolithic إلى بداية العصر المسيحى Christian era (٤). وكانت تمتد أوطان أصحاب هذه الثقافة بحيث تغطى نطاق الغابات الاستوائية وتمتد جنوباً أيضاً إلى دائرة العرض ١٦ إلى قرب بداية موطن ثقافة ستيلباى Stillbay (٥).

وهناك أدلة تاريخية على إمتداد أوطان الأقزام الغربيين على المناطق الساحلية الداخلية حتى ليبيرياويبدو أنه حتى القرن ١٦ ، كان الأقزام يمثلون العنصر الأساسى فى السكان فى الغابات الممتدة بين بحيرة ألبرت وبحيرة أدوارد (٦)، ونظراً لعدم

---

(١) محمد عبد الغنى سعودى « الاتصالات العربية الأفريقية فى العصور القديمة » فى : معهد البحوث والدراسات العربية : العلاقات العربية الأفريقية ... القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٠١ .

(٢) نفس المكان .

(٣) Gregory, Robert G. : India and East A frica; A History of Race Relations with the British Ewipre 1890—1934. Oxford, clarendan Press, 1971, p. II

(٤) Murdock, G.P. : Africa; Its People and Their Ciulture History, p. 48.

(٥) Loc. cit.

(٦) Coon, C.S. : The Origin of Races. p. 651—652

العثور على هياكل عظمية للأقزام أو على آلات قديمة بكميات كافية معبرة فانه يصعب معرفة الكثير عنهم أكثر من أنهم عاشوا فى أوطانهم الحالية منذ مدة طويلة خلال العصر التاريخى ، كما أنه لا توجد أدلة على معيشة الزنوج معهم فى الغابات قبل معرفة الزنوج للحديد والزراعة (١) . هذا وكان الأقزام يمثلون السلالة السائدة فى القسم الغربى من وسط أفريقيا خلال العصر الحجرى القديم الأوسط فى الوقت الذى كان يسود فيه البوشمن فى القسم الشرقى من وسط أفريقيا (٢). وقد عثر على ثقافة سانجوان Sangoan فى المناطق الغربية داخل نطاق الغابات المدارية على طول خليج غينيا ورغم أنه لا تعيش فى هذه المناطق الآ أية جماعات قزمية ، وإن كانت هناك بعض الجماعات قصيرة القامة مثل جاجو Gagu فى خاحل العاج والتى لا تصنف بسببه قصر قامتها مع الزنوج (٣).

ويلاحظ أن موطن الأقزام القديم كان يمتد ليشمل مناطق متسعة من نطاق الساڤانا على طول أنهار كوانجو Kwange ، كاساى Kasai ، وسائر الروافد الجنوبية لنهر الكونغو حيث ما زالت تعيش بعض الجماعات القزمية متناثرة إما بجوار المجارى المائية أو فى جماعات منعزلة داخل النطاق الجنوبى من الغابات المدارية الجافة ، ومنها شعب نيانيكا Nyaneka فى الجنوب الغربى (١٥° جنوباً ، ١٣½ شرقاً) وفى الجنوب الشرقى فى زامبيا زائير بالإضافة إلى بعض الجماعات الفارة التى تحترف صيد السمك فى المستنقعات المجاورة لبحيرة مويرو Nweru (٨° جنوباً ، ٢٩° شرقاً) وبحيرة بنجويللو Bongweulu (١١° جنوباً ، ٣٠° شرقاً) ونهر كافو Kafue (٣٩ـ ١٥° جنوباً ، ٢٧° شرقاً) ويبدو أن زنوج البانتو قد إشتركوا مع الأقزام فى الوطن الأصلى فى غرب أفريقيا ثم تحركوا من خلال هجراتهم نحو الشرق والجنوب (٤)إلى أطراف الغابات الاستوائية الحالية (خريطة رقم ٢) حول جوض نهر الكونغو وغابات ساحل غرب أفريقيا وذلك

---

(١) Ibid, p. 652

(٢) إبراهيم رزقانة : العائلة البشرية ، ص ٢٩٢

(٣) Murdock, G.P. : Africa, p. 49

(٤) Coon, C.S. The Origin of Races, p. 653

لأن ذلك الحوض كان خلال فترة من عصر البليستوسين تغطيه المياه ، وعندما حدث الجفاف انتقل الأقزام للمعيشة فى الغابات وهناك أخذت قامتهم صفتها القزمية (١).

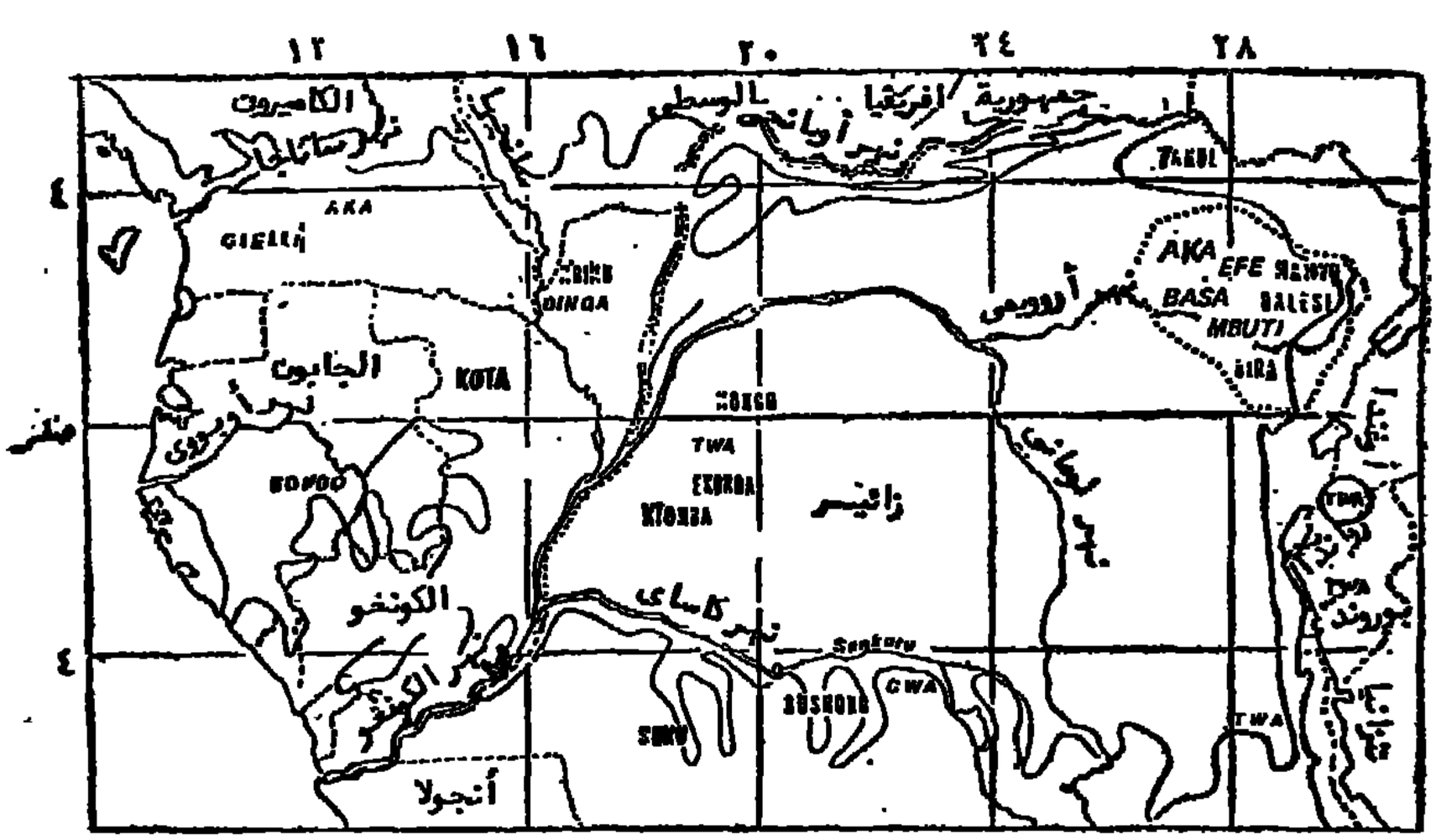

(من : هرنيــو)

خريطة رقم ٢ ــ توضح مواقع الأقزام والجماعات القزمية وعلاقتهم بالجماعات العرقية الزراعية الأخرى فى وسط أفريقيا (كتبت اسماء القبائل بالحروف اللاتينية لسهولة النطق)

من هذا يتضح أن القارة الأفريقية تعتبر موطناً ليس فقط لسلالة واحد من البشر ولكن لسلالتين : البوشمن ، والكونجوليون والأخيرة تشمل الزنوج والأقزام. أما قوقازيو شمال أفريقيا (البربر والعرب) فقد وصلوا أخيراً إلى القارة وكان هذا معاصراً تقريباً للزمن الذى وصل فيه المغوليون إلى جنوب شرق آسيا وأندونيسيا ، ويبدو أن أسلاف البربر قد دفعوا سكان المنطقة القدامى وكانوا من قصار القامة أمامهم نحو الجنوب (*)(٢).

ويتميز وطن الأقزام والزنوج (المجموعة الكونجولية فى أفريقيا) بالدفء طول العام إذ لا توجد إختلافات فصلية تذكر ؛ وإن كان لا يتمتع إلا بالقليل من ضوء الشمس ؛ وهو غزير المطر كما أن الجو مشبع بالرطوبة . هذا وتسود هذه الظروف

---

(١) Ibid, p. 589

(*) وكان هذا مثلما دفع المغوليون والاستراليون الأصليون من جنوب شرق آسيا إلى الشرق من خط والاسى Wallace's line إلى أوطانهم الحالية .

(٢) Coon, C. S. : The Origin of Races, p. 588

ليس فقط فى أفريقيا الوسطى بل وأيضاً فى معظم جزر المحيط الهادى التى تعرف باسم : ميلانيزيا كما تظهر بعض الاختلافات فى بولينيزيا ومكرونيزيا (١).

وتنحصر أوطان الأقزام الأفريقيون الحالية فى مواضع متفرقة فى حوض نهر الكنغو وتمتد أوطانهم شرقاً حتى حدود أوغندا فى غابة أيتورى Ituri ومن جهة الشمال الشرقى حتى حوض بحر الغزال وغرباً حتى حدود جمهوريات الكنغو والكامرون والجابون وأنجولا (٢) فيما بين خطى عرض ٤° شمالا و ٥° جنوباً داخل الغابات الاستوائية الكثيفة . هذا ولا يغطى إنتشار الأقزام كل الغابات الاستوائية فى أفريقيا فهناك مناطق كثيرة منها لا يقطنها إلا جماعات البانتو الزراع ، رغم أن انتشار الصيادين وجامعى الغذاء فى الماضى كان واسعاً قبل أن يضطروا إلى الانزواء فى مناطقهم الحالية .

وكان الأقزام فى بداية القرن العشرين ينتشرون فى جماعات للصيد تنتشر تغطى غابات ويللى Welle ، وسمليكى Semliki ، والكنغو Congo ، وأوجووای Ogowai (٣) . ويبدو أن وصف الغابة يختلف بالنسبة لقاطنيها عن أولئك الذين ينظرو إليها ويدوسونها من الخارج ورغم أنه عالم مغلق معادى للغرباء (٤) ؛ إلا أنه يسوده الظل والرطوبة المنعشة والضوء الثرى الجميل والهدوء والراحة (٥) ، وتعتبر البامبوتى Bambuti مواطنوا الغابة الزائيرية الأصلاء(٦) ؛ فهى عالمهم الذى يمدهم بكل ما يلزمهم من ضروريات الحياة(٧).

---

(١) Coon, C. S.: The Living Races of Man, P. 228

(٢) إبراهيم رزقانة : العائلة البشرية صحص ٢٩٨ .

(٣) Keane, A. H. : Man Past and Present; reviased and largerly rewritten by: Hingston, A. Q. and Haddon, A. C. : London, Cambridge Univ. Press, 1920, p. 125

(٤) Turnbull, Colin M. : The Forest People; a study of the Pygmies of the Congo. 9th. pr. New York, Simen and Schuster, 1961, p. 31

(٥) Ibid, p. 12

(٦) Ibid, p. 13

(٧) Ibid, p. 14

ويتميز المناخ الاستوائى فى حوض الكنغو بالحرارة العالية الدائمة (أكثر من ٢٦ م – ٧٨ ف طول العام (مع رطوبة عالية جداً (٥٥ – ٧٠٪) ، ولايزيد المدى الحراري السنوى عن ٢ – ٣ درجات ، أما متوسط الحرارة العظمى فيصل إلى ٣٠ م (٩١ ف) والحرارة الدنيا ١٧ م (٦٢ ف) وعلى ذلك فالمدى اليومى للحرارة كبيرا (قد يصل إلى عشر درجات) والأمطار انقلابية ، تسقط غالباً بعد الظهر من كل يوم وتكون مصحوبة بعواصف رعدية وذلك نتيجة. سيادة الضغط المنخفض الدائم ، ويزداد سقول الأمطار خلال شهر أبريل وشهر أكتوبر أو نوفمبر وهما الفترتين اللتين يعقبان عبور الشمس الظاهرى لخط الاستواء (فى مارس وسبتمبر) (١) . والجو حار وجاف أثناء النهار ومتلىء بالغبار الناعم وفى المساء تبدأ الرطوبة فى الظهور (٢).

وتتكون الغابة الاستوائية من عدة مجموعات متنوعة من الأشجار ، أولها تلك الضخمة التي يبلغ إرتفاعها فى المتوسط خمسين متراً حيث يصل إرتفاعها إلى ٨٠ متراً أحياناً ثم هناك الأشجار متوسطة الإرتفاع (نحو ٢٠ متراً) . وأخيراً توجد الأشجار المتسلقة التى تسد فراغات ما بين الأشجار مما يحجب الروية إلى مسافات طويلة ويجعل الانتقال داخل الغابة أمراً شاقاً (٣)، إلا على أصحاب الأجسام الصغيرة، وهذا يفسر الملاحظة التالية، وهى أنه بينما يحيا البوشمن فى مناطق شبه جافة منذ زمن ليس ببعيد(٤)، نجد أن الأقزام يعيشون فى أوطانهم الغابية الحالية منذ أزمان سحيقة (٥).

ويعتبر نهر أرووِيمى Aruwimi من أهم الروافد الرئيسية لنهر الكنغو، فهو متسع ولكنه يضيق كلما توغلنا فى مجراه الأوسط ، متجهين إلى أعلى المجرى up streem

---

(١) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : أفريقيا ؛ دراسة لمقومات القارة . بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦ ، ص ١٩٦٤ – ١٦٦

(٢) Turnbull, Colin M. : op. cit., p. 166

(٣) محمد رياض ، كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، ص ١٨٨

(٤) فاروق عبد الجواد شويقة : « الكيبوانيون » فى : الدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ، ع ٥ ، ١٩٧٥

(٥) Hiernaux, J. : The People of Africa, P. 114

ولكنه يستمر شديد الانحدار، وهنا يأخذ إسماً آخر هو إيتورى Ituri (١)، حيث تكون الغابات موطناً للبامبوتى Bambuti ، وتلك هى البيئة التى إستوطنها الأقزام منذ آلاف السنين قبل أن يعرف الأوربيين أفريقيا (٢).

ويبدو أن انخفاض عرض الأنف الشديد ولون البشرة الفاتح، جاء نتيجة لاختبار طويل الأمد من تأثير عوامل المناخ(٣)، بما تشمله من متوسطات التساقط والهواء الرطب والتباين الفصلى البسيط فى درجة الحرارة وكمية الرطوبة والنسبة الضئيلة من الأشعة فوق البنفسجية التى تتوافر تحت الغطاء الشجرى . هذا ويعتبر المبوتى جماعة متلائمة بيولوجياً للغابة مع ظروف الغابة الاستوائية(٤)، إذ أنها تمثل نمطاً من السلالات المحلية Local race التى تختزل ظروف البيئة (٥)، ويعتبر النمط القزمى للقامة السائد عند الأقزام وللبوشمن الذين يحترفان القنص والجمع فى أفريقيا من بقايا سمات إنسان العصر الحجرى المتوسط Middle Stone age (٦). ويبدو أن إستعمال السهام السامة فى عملية الصيد أفقد الحجم والقوة أهميتها فى عملية الاختيار وقد تعاونت هذه الطريقة مع ميزة صغر الحجم المناسب للمرور بين الأحراش وأشجار الغابة فى تأكيد تلك الصفة (٧).

مورفولوجية الانسان :

كانت تسكن القارة الأفريقية قبل الزنوج سلالة مختلفةأخرى هى الأقزام، الذين ليسوا فقط أفتح لوناً وأكثر نحافة slighter فى الجسم من الزنوج، بل كانوا مختلفين عنهم فى عدة صفات طبيعية أخرى كثيرة وخاصة أبعاد الرأس والجزع

---

(١) Turnbull, Colin M. : The Forest People, p. 28—29

(٢) Ibid, p. 29

(٣) Hiernaux, Jean : op. cit., p. 117

(٤) Loc. cit.,

(٥) Garn, Stanley M. : Human Races. 2 nd ed. 3 rd pr. Springfield, Charles C Thomas. 1965, p. 17

(٦) Willcox, A. R. "Size and the Hunter." *In :* South African South African Joumal of Science. Vol. 67, No, 5, 1967, p. 306—307

(٧) Ibid,. p. 308

والأطراف . بالإضافة إلى قصر القامة الواضح ، السائد حيث لا يتعدى متوسط إرتفاع الفرد البالغ الذكر منهم ١ر٥٥ متر (٦١ بوصة) وقد يبلغ أحياناً إلى ١ر٤٠ متراً (٥٥ بوصة تقريباً) (١) وتلاحظ عليهم العلاقة بين وزن وحجم الجسم وبين المناخ السائد (٢)(*) ومنها أنه يغلب على من يقطن المناطق المدارية الحارة — باستثناء الأقزام أن يكون طويل القامة(٣) نحيل القوام، وذلك هو ما تعرف بقاعدة ألن Allen's Rull (**) ، ومع ذلك فالملاحظ أن الأقزام الأفريقيين يشبهون فى أجسامهم المكتنزة الإسكيمو(٤)سكان الأقاليم القطبية الشمالية . وإرتفاع قامة الأقزام أقل بكثير من متوسط قامة البوشمن (-) (جدول رقم ١) ، ولكن هناك من يقول بأن تباين قامة الأقزام الأفريقيين كبيراً للغاية، حيث يتراوح ما بين ١ر٣٧ — ١ر٤٥ متراً (٤ أقدام ، ٢٥ر٤ بوصة إلى ٤ أقدام ، ٢٥ر بوصة)(٥) ، هذا ويبلغ متوسط إرتفاع الفرد من قبيلة الأكا Akka التى تعيش فى شمال زائير بجوار بحيرة ألبرت ٤ قدم و ٦ بوصات ، فأحياناً ما يصنفوا مع النجريللو(٦). هذا وقد إتضح أن هناك

---

(١) Delafosse, Maurice; The Negroes of Africa ; History and Culture, translated into English by : Fligelman, F. : Port Washington, Kennikat Press, 1968, p. 7

(٢) Roberts, O.F.: "Body Weight Race and Climate" *In:* American Joumal of Physical Anthropology. new series II, 1953, p 533—558 : *After:* Hulse, F.S. : The Human Sapies, p. 333

(*) وقد توصل روبرتس إلى ذلك من دراسته للمغوليين الذين يبدو أن أسلافهم كانوا يعيشون فى مناطق باردة أساساً وانتشروا بعد ذلك فى مناطق متباينة المناخ .

(٣) Hulse, Frederick S.: The Human Species ; An Introduction to Pysical Anthropology. 4 th. pr. New York,

(**) ملاحظة أن أطراف بعض الحيوانات ذات الدم الدافئ تميل إلى أن تكون أطول وأنحف فى المناطق الباردة . (Coon, C.S. : The Living, Races of Man, p. 321)

(٤) Linton, Ralph : Tree of Culture. New York, Alfred A. Knopf, 1955, p. 26

(-) وهى ١٥٨ سم (١٢ بوصة) (فاروق عبد الجواد شويقة : الكيبوانيون ، مصدر سابق) .

(٥) Keane, A.H. : Man Past and Present, p. 125

(٦) Gates, Ragineld Ruggles ; Human Genetics. New York, The Macmillan Gon., 1952. p. 1321

ترابطاً بين القامة القزمية وبين القرب من خط الاستواء يبلغ ٢٢٪ (*)أى أن قامة هذه السلالة تتزايد إرتفاعاً كلما تباعد موطن أصحابها عن خط الاستواء شمالاً أو جنوباً ، وقد إتضح أن العامل أكبر فى الشمال(١) .

ويبدو أن المبوتى هم أقصر قامة لأى سلالة إنسانية (١٤٤ سم للذكور البالغين ، ١٣٧ سم للإناث البالغات) وبمقارنتهم مع السلالات الأفريقية الأخرى جنوب الصحراء يتضح أنهم من أصحاب الأرجل القصيرة والأزرع الطويلة والأكتاف العريضة(٢) .

جدول ١ — يوضح مقارنة بين بنية الجسم عند الأقزام بالمقارنة بغيرهم (٣)(*)

الأهلة (الجينبول)	القامة سم	الوزن كم	المعامل (Ponderal)
الأقزام	١٤٢ر٢	٣٩ر٩	٣ر٥٦
البوشمن	١٥٥ر٨	٤٠ر٤	٣ر٨٦
الوتوتسى	١٧٦ر٠	٥٧ر٠	٣ر٠٩
البربر	١٦٩ر٨	٥٩ر٥	٢ر٨٥
المغاربة	١٦٨ر٩	٦٣ر٨	٢ر٦٥
الأمريكى U. S. A.	١٧٣ر٩	٧٠ر٢	٢ر٤٨
اليابانيون	١٦٠ر٩	٥٣ر٠	٣ر٠٤
الإسكيمو	١٦١ر٢	٦٢ر٩	٢ر٥٦

(*) معامل الارتباط (ر) = $\frac{(\text{ن} \times \text{مج س ص}) - (\text{مج س} \times \text{مج ص})}{\sqrt{(\text{ن} \times \text{مج س}^2) - (\text{مج س}^2)} \times \sqrt{(\text{ن} \times \text{مج ص}^2) - (\text{مج ص})^2}}$

(١) Kelso, A.: Physical Anthropology. an introduction; Philadelphia J.B. Lippincott, 1970, p. 337

(٢) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 115

(٣) Dobzansky, T. : Mankind Evolving. New Haven, Yale, Univ, Press, 1962, p. 74

(*) معامل بوندلر (ليفز) لبنية الجسم = $\frac{\sqrt[3]{\text{الوزن كجم}} \times ١٠٠}{\text{القامة الكلية سم}}$

وتتميز جماعات الصيد والجمع من غير الأقزام بأنها تحمل صفات طبيعية مابين الأقزام والجماعات الزراعية المجاورة . ولكن تتفاوت درجه التباين هذه (شكل رقم ٢) . والقامة بعامة عند الذكور البالغين منهم يدور متوسطها حول ١٥٠ سم وإذا يفضل تسميتها بالجماعات القزمية (المتقزمة) Pygmoid (جدول رقم ٢) .

جدول ٢ – يوضح إرتفاع قامة بعض الجماعات القزمية(١)

الجماعة	الموطن	N	القامة سم
بينجا Binga	غابة لوباى Lebaye (جمهورية أفريقياالوسطى)	٤٢	١٥٢
		٢٨	١٥٣
أكـــا Aka	كاميرون	٢١٧	١٥٣
بينجا Binga	أوبانجى الأدنى	١٢٥	١٥٥
توا Twa (غابة البركان)	شمال رواندا	٧٩	١٥٥
توا ايكوندا Twa Ekonda	وسط زائير	١٠٨	١٥٧
توا رواندا Twa Rwanda (المناطق المكشوفة)	رواندا	٩١	١٥٩
سواكوبا Cwa–Kuba	وسط زائير	٩٧	١٦٠

وغالباً ما ترجع القماءة إلى سبب نقص إفراز هومون الثيروكسين Thyroxine (Tetraiodothyronine) من الغدة الدرقية ، وكذلك من حيث هى مرض ينشأ

(١) Ibid, p. 22

عن نقص اليود فى البيئة (التربة غالباً) ، هذا ويسبب نقص إفراز الغدة الدرقية فى الأم خلال فترة الحمل إصابة أطفالها بالقماءة ، ويبدو أن هناك أفراداً أكثر تعرضاً للإصابة بالقماءة من غيرهم إذا ما نقص اليود،وهذا يرجح إرجاع سبب ذلك إلى وجود جينة متنحية عندهم ، وقد إتضح أن العلاج المبكر بالثيروكسين يفيد الطفل المصاب بالقماءة إلى حد كبير ،وإن كان من النادر أن ينجح فى إعادته إلى الحالة الطبيعية تماماً(١) .

ويصحب زيادة إفراز هرمون الثيروكسين Thyroxine (Tetraiodothyronine) تنشيط واضح فى عملية الأيض (التمثيل الغذائى)(٢)،ويرجع ذلك غالباً إلى وجود اليود Iodide والجدير بالإشارة أن هناك صلة واضحة بين إفرازات الغدة الدرقية وإفرازات الغدة النخامية (٣) Pituitary gland (غدة تقع أسفل المخيخ)، ويظهر أثر ذلك التأثير المتبادل (*)فى أثر الهرمون الدرقى على كل خلايا الجسم فى النمو(**)،وأيضاً فى أثر هرمون النموالنخامى على مراكز النمو الثانوية خاصةغضروف الاتصال فى العظام الطويلة(٤) :

هذا وقد لوحظ على القامة أنها تطول إذا تحسنت ظروف حياة الأقزام (٥) خاصة الظروف المتعلقة بالتغذية ، ومع ذلك فان القمىء يظل عادة قصير القامة إلى حد كبير حتى بعد العلاج ، ومتخلف عقلياً بدرجة شديدة(٦) .

وقد قام بعض الباحثين بدراسة على الغدد الصماء لبعض الأفراد من الذكور

---

(١) Montagu, A. : Hunan Heredity, p. 271

(٢) Clark–Kennedy, A. E. : Human Disease, p. 252

(٣) أياد شطى : « غريزة الغدة الدرقية وأعراضها فى : ادوارد بيكار : أبحاث فى الطب الحديث . دمشق ، دار اليقظة العربية : ١٩٦٤ ، ص ١٧

(*) أسماء الباحثان "The Pituitary–Throid Axis" : Salter & Galli–Mainini

(**) يطلق على تضخم الغدة الدرقية مرض هاشيموتو Hashimoto disease الذى يعتبر من الناحية الوراثية من النمط السائد المسيطر (Montagu, A : Human Heredity, p. 354)

(٤) أياد شطى : « غريزة الغدة الدرقية وأعراضها » ، ص ٢٣

(٥) إبراهيم رزقانة : العائلة البشرية ، ص ٣٩٩

(٦) Montagu, A. : Hiiman Heredity, p. 271

البالغين من عامة البينجا Binga القزمية التى تعيش فى جمهورية أفريقيا الوسطى فاتضح لهم أنه لا يوجد أى نقص deficiency فى إفرازات هرمون النمو hermone growth ، ولكن هناك بعض الأنسجة التى تحد من نشاطه ، وعلى ذلك فان هيرنيو (١) يوافق على الرأى القائل بأنه غالباً ما يوجد لدى الأقزام Pygmy والجماعات القزمية Pygmoids آليلات موهوبة ذات كفاءة عالية تعمل على آليلات موهوبة ذات كفاءة عالية تعمل على إيقاف النمو عن طريق منع عمل الخلايا عن النمو للمستوى الطبيعى المعتاد (٢) . وتبدو القزمية dwarfing فى الكائنات الحيوانية حتى والنباتية أيضاً(×)وتنشأ من تأثير معكوس لتغيرات جينية(٣)أى طفرات تضهورية، ولكن ليس معنى عمل آليلات إيقاف النمو أنها تعمل مبكرة عند أطفال الأقزام ، فقد إتضح من دراسات أجريت على أطفال من المبوتى معروفة أعمارهم بالتقدير (لأن المبوتى لا يعرف عمره الواقعى) أنه هناك نقص مبكر فى النمو (نتيجة دراستين)(٤)، بينما أوضحت دراسة أخرى أن هناك عوامل ميكانيكية مبكرة مسئولة عن قصر قامة البالغين(٥)، وقد رجحت هذا الرأى الأخير دراسة أنثرومترية

---

(١) Hiernaux Jean : The People of Africa, p. 118

(٢) Merimee, T. J. : Rimoin, O.L. & Cavalli-Sfrorza, L. C. : Metabolic studies in the African Pygmy "*In :* J. clininvest, vol. 51, 1972, p. 395—401 *And :*
Rimoin, O. L. ; Merimes, T.J.; Rabinawitz, D. ; McKusick, V.A. Govolii-Sforza, L.L.: Grewth Hormone in A frican Pygmies-Londcet Sapt. 9: 523—6

(×) هناك نوع قزمى من الغزال فى كوبا واليابان ، وفيل قزمى فى الفلبين ، وفرس نهر قزمى فى ليبريا وشمبانزى قزمى فى زائير Coon, C.S. : The Origin of Race, p. 112—113
Stein, P.L. & Rowe, Gruam.: Physical Anthropology. New York, p. 227
بل هناك أنواع قزمية من البسلة والفول والأذرة
(Coon, C. S. : The Origin of Races, p. 112, 113, 114)

(٣) Coon, C. S. : The Origin of Races, p. 34

(٤) Mean, G. V. ; Roels, O. A. Price, D.L. and Merril, J. M. : "Cardiovascular disease in African Pygmies". *In*: *L* J chreon. Diseases 15 : 341—71 *After* : Hiernaux, J : The People of Africa, p. 118

(٥) Hiernaux, J. : Ibid, p. 118

موضوعية(١) وهناك بعض الشك فى إرجاع سبب قزمية القامة عند الجماعات القزمية التى تعيش فى المناطق المدارية إلى عوامـل وراثية فالوا — توتسى Wa-tutsi فى أفريقيا ، وهنود السيوكس Sioux Indians فى أمريكا ، واسكتش المرتفعات Scotch Highlanders فى بريطانيا طوال القامـة ، لأنهم توارثوا الأليلات الضرورية (٢) . وعلى ذلك فيحتمل أن تكون القامة ليست صفة تلاؤم ، ولكن مع هذا فهناك بعض الأسباب للقول بأن بنية الجسم لها هذه الصفة (٣) .

والقماءة Dwarfism تأتى نتيجة إحدى حالتين :

١ — نقص نمو الغضاريف achondroplasic أو (chandrodystrophy) وهو إعاقة نمو الجهاز العظمى بسبب شذوذ نمو الغضاريف(٤) .

٢ — الطفلية المظهر ateleiotic وهى حالات أكثر ندرة وتظهر فى الجنين ويكون فيها الجزع عادى الطول والأرجل قصيرة والمفاصل كبيرة أما العيب فيوجد فى غضاريف العظام كاملة النمو epiphyses (٥).

هذا وأقزام الكنغو من النمط الأول achondroplasic (٦)، الذى يصل أحياناً إرتفاع قامته فى المتوسط إلى ١٣٠ سم للذكر ، ١٢٠ سم للأنثى ، ولكن الملاحظ أن حالات الأقزام الأفريقيون لاتصل إلى الحـد الأقصى التى تلاحظ على بعض الأفراد عند بعض الأوربين أو الزنوج نتيجة طفرات معينة(٧).وهوالنمط المماثل

---

(١) Hunt, E. : "The developmental geneties of man". *In:* Foulkher, F. (ed.). Human Develorment. Philadelrhia, Saurders, 1966, p. 76—122

(٢) Hulse, F.S. : The Human Srecies, p. 333

(٣) Newman, M. T.: "Evolutionary Changes in Body Size and Head Form in American Indians. *In :* American Anthropologist, Vol. 64,1962, p. 237—257

(٤) Montagu, A. : Human Heredity, p. 352

(٥) Gates, Reginald Ruggles : Human Geretics. New York, The Macmillan co, 1952, p. 1320

(٦) Ibid, p. 1321

(٧) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 653—654

لما يلاحظ فى حالةالبولدوج bulldog ذات الرؤوس والأجسام الكبيرة والوجوه البارزة بينما الأذرع والأرجل قصيرة والأيدى والأقدام صغيرة(١) ، ويبدو أن وراثة قزمية الأطراف صفة سائدة سيادة بسيطة(٢) . ويبدو أيضاً أن طفيلة المظهر هى السائدة فى الحالات القزمية .

ويتميز الأقزام اللاغضروفيون achondroplastit (chandystrophic) بقصر الأذرع والسيقان وأصابع مكعبرة فى اليدين والقدمين ،أما حجم الرأس والجزع فطبيعى ، وهؤلاء الأقماء يوجدون ظاهرياً فى كل السلالات البشرية(٣) . ويبدو أن أساس هذه القزمية اللاغضروفية هو شذوذ فى تعظم الهيكل الغضروفى وبخاصة فى مراكز التعظم فى العظام الطويلة فى الأذرع والسيقان(٤) .

وقد يصحب القماءة المتوطنة المنسببة من نقص الثيروكسين نقص فى تكوين الجسم والعقل وفى كثير من الأحيان يصابون بالصمم ، كما تتميز مشيتهم بالاسترخاء والملاحظ أنه عند انتقال الأمهات اللاتى يعانين من نقص اليود إلى بيئات جديدة يتوافر فيها هذا العنصر بكميات مناسبة،أو إذا ما عولجن به فليس من الضرورى مطلقاً أن يصبح أطفالهن قميئين ، كما أن الأفراد الأصحاء الذين يتنقلون إلى بيئة ينقصها اليود قد يصابون بالجويتر(٥) (تضخم الغدة الدرقية) وما يتبعها من آثار (*). وإن كانت إفرازات الغدة الدرقية مسئولة عن القماءة Cretinism (**) فهى

---

(١) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 114—115

(٢) Montagu, Ashely : Human Heredity. New York, World Publishng Co., 1963, p. 351

(٣) Dobzhanskey, T. : Mankind Evoliving, p. 114

(٤) Loc. cit.

(٥) Montagu, Ashley : Human Heredity, p. 112

(*) ومنها الجوتر الجحوظى exophthalmic goiter (مرض جريفز Groves's diseese)
ويصاحبه توتر وخفقات القلب وارتفاع معدل الأيض وجحوظ العينين ، وهى صفة متنحية ومرتبطة بالجنس والأنثوى غالباً . (Ibid, p. 365)

(**) ويقصد بها توقف خلقى لنمو الجسم والعقل عند مستوى الطفولة المبكرة وأغلب الظن أن النوع الذى لا يستجيب للعلاج بالغدة الدرقية تسيطر عليه عوامل وراثية ولكن بطريقة غير معروفة .
(Montgu, Ashley : Human Heredity, p. 387)

أيضاً مسئولة عن المكسيديما Myxedema وهى التى تحدث نتيجة نقص إفرازها ويتميز أصحابها بكونهم ضخام البنية ولكنهم أغبياء(١) ، ويصحب ذلك انخفاض كبير فى الأيض(٢) .

أما قامة النجريتو (ذكور ١٤٤ سم فى المتوسط) فقد لوحظ تباين واضح بين جماعاتهم المختلفة (جدول رقم ٣) .

جدول ٣ ــ مقارنة بين قامة بعض جماعات من النجريتو(٣)
من الذكور البالغين

الجماعة	القامة	
	سم	قدم / بوصة
لوزون	١٤٧	٤ / ١٠ر٥
السيمانج	١٥٢	٥ / ٠٠ر٠
الاندمان	١٤٩	٤ / ١٠ر٥
الفدا (*)	١٥٧	٥ / ٠٠ر٥

إذا كان النمط الجينى Genotype هو التكوين الوراثى الذى تحدده عدد الجينات وأنواعها وترتيبها(٤) ، ذلك فانه يعنى من الوجهة النظرية الوعاء الذى يحوى جميع الصفات الوراثية لمجموعة بشرية معينة . وهذا يعنى أيضاً من الوجهة العملية التطبيقية ، مجموعة سكانية معينة (سلالة معينة) لها صفاتها الخاصة بها ، وهذه الصفات

---

(١) Clark–Kennedy, A.R. : Human Disease, p. 74

(٢) Montagu, Ashley : Human Heredity, p. 385

(٣) Coon, C.S. : The Livig Races of Man, p. 179, 196

(*) عنصر قوقازى قصير القامة يعيش فى الهند ويقال أنهم نشئوا من إختلاط تم بين الجينبول القوقازى والجينبول الاسترالى وإن كان الأول أكثر تأثيرا .
(Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 196)

(٤) Montgu, Ashley : Human Heredity, p. 385

تشمل جميع المكونات الإنسانية من بيولوجية وإجتماعية وثقافية إذ أنها كلها مترابطة ومتداخلة في متصل واحد هو الإنسان بمفهومه الفردى ومفهومه الجماعى .

ويعتقد « غلاب » أن الأقزام الأفريقيين سلالة خاصة بذاتها استناداً إلى الاختلافات الفزيولوجية الخاصة بالفرد وبفصائل الدم(١)،وهو قول صحيح أثبتته البحوث والدراسات التفصيلية على إفرازات الغدد الصماء (خاصة الغدة الدرقية) وعلى فصائل الدم ومكوناته (جدول رقم ٤) الذي يتضح منه وجوه فروق واضحة بين الأقزام وطوال القامة بل حتى بين الأقزام الأفريقيين وأقزام آسيا والاقيانوسية .

وإذا ما أجريت مقارنة مورفولوجية بين رأس كل من النجريللو والبوشمن والنجريتو (لوحه رقم ٢) يلاحظ على المنظر العلوى للجمجمة Norma Verticalis أن كنتور الرأس معين الشكل وهناك نتوءات جانبية،أما الجبهة فضيقة،وصندوق الدماغ ناتىء أعلى من الوجه ومن عظام الخد للدرجة أنهما محجوبان،ونسبة العرض إلى الطول أكبر منها عند أى مجموعة زنجية . أما المنظر الأمامى Norma Frontalis فيوضح إنخفاض واتساع فتحة الأنف (عند الأندمان الفتحة أضيق وأكثر ارتفاعاً) كما يلاحظ إرتفاع فتحة الحجاج عند النجريللو والاندامان.هذا بينما يوضح المنظر الجانبي Norma Lateralis وجود بروز واضح فى وجه النجريللو بينما هو قليل البروز عند النجريتو وعديمه عند البوشمن .ويلاحظ فى العينات الثلاث المذكورة أن عظم القزال Occipital bone بارز ، كما أن النتوءات الحلمية Mastoid processes صغيرة . وأنها تبدو طفلية Juvenile المظهر خاصة عند البوشمن التى تبدو لديهم هذه الظاهرة ملفتة للنظر(٢) .

---

(١) محمد السيد غلاب : تطور الجنس البشرى . ط ٤ . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٣ ، ص ٣٠٤

(٢) Ibid, p. 437

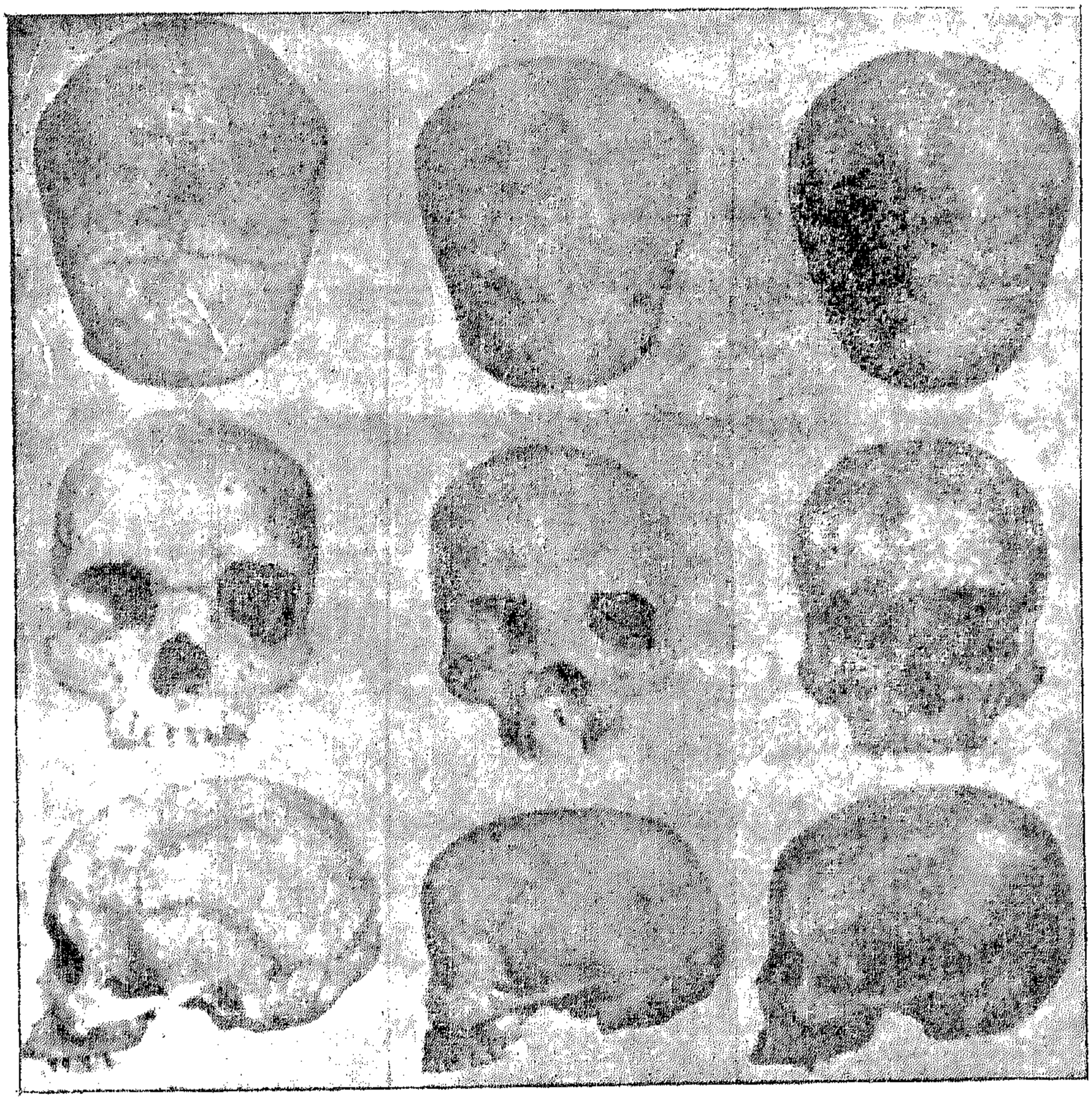

A B C

(من : مونتاجو : مقدمة الانثروبولوجيا)

لوحة رقم ٢ ـ ثلاث مساقط لجماجم سلالات

عريقة مختلفة تنتمى الى : النجريللو A ،

والبوشمن B ، والنجريتو C

والملاحظ أن الدراسة التى أجريت على المبوتى بما يتعلق بتردد الصفات الوراثية (عدا مجموعة الدم ABO) أجريت على أعداد قليلة (أكثر قليلا من مائة فى كل

جدول ٤ – يوضح مقارنة النمط الدموى من مجموعة ABO بين بعض الأقزام فى أفريقيا وآسيا والاقيانوسية(١)

	الباحث	N	O	A	B	AB	p	q	r
الأقزام الأفريقيون	عديدون	٢٥٧٣	٤٥ر١	٢٩ر٣	٢١ر٨	١٩ر٠	١٩ر٠	١٣ر٧	٦٦ر٣
أهالى جزر الاندامان	عديدون	٦٦	١٧ر١	٥١ر٠	٢٢ر٠	١٠ر١	–	–	–
أقزام الملايو	بوليونين وسنيت ١٩٥٣	٢٦٩	٥٩ر١	٢٤ر٥	١٤ر٥	١ر٩	١٤ر٢	٨ر٥	٧٧ر٢
الايتـــا	شبستا ١٩٥٢	١٥٥	٥ر٩	٣٢ر٩	١٢ر٢	٣ر٨	٢٠ر٤	٨ر٤	٧١ر٤
أقزام غينيا الجديدة	سمبل وآخرون ١٩٥٦	١٣٩	–	–	–	–	٧ر٥	١٣ر٩	٧٨ر٦

(١) Montagu, Ashely : An Introduction to Physical Anthropology. 3rd ed. Springfield, Charles C Thomes, 1960, p. 436

دراسة) بينما كانت العينة التى درست عنها تردد مجموعة الدم ABO وصل عددها إلى أكثر من ألف حالة(١).

وبالنسبة لمجموعة ABO نجد أن المبوتى تقع بالقرب من الحد الأعلى من تردد أليل p. (A) ، وأليل q (B) فى منطقة أفريقيا جنوب الصحراء، ويقفون فى ذلك مع البينجا Binga ذوى السمات القزمية Pygmoid ، والكورانا Korana من الهوتنتوت (*) ونجباكا Ngbaka من جنوب غرب زائير(٢) .

ويختلف الأقزام عن الزنوج فى أنه تنتشر فيهم أنماط الدم التالية : جميع فصائل مجموعة ABO ، ونمط N من مجموعة MN كما يقل فيهم كثيراً توزيع الهابتوجلوبين Hp^1 (٣)، ويقترب الأقزام فى ذلك إلى البوشمن أكثر من اقترابهم إلى الزنوج وإن لم يتطابقا سوياً(٤) . الملاحظ أيضاً أنه طبقاً لنظام MN نجد أنه هناك قيمة عالية جداً (٣٥٪) من الأفراد الذين لا تتجلط خلايا دمهم الحمراء بالجسم المضاد u ، بينما نجد أن تردد أليل 7^a_s لمجموعة دم سوتر Suter أقل ما يمكن عند المبوتى(٥) .

وقد اتضح من فحص مكونات دم عدد ١٢٠ فرداً من المبوتى تبعاً لنظام GM وجود نقص فى عامل Gm (X) ويشبه لمبوتى فى ذلك سائر سلالات أفريقيا جنوب الصحر ء(٦) ، كما أوضحت دراسة تردد الصفات الوراثية أن المبوتى لاينتمون إلى أى مجموعة من المجموعات الأفريقية جنوب الصحراء(٧) . وتتأكد هذه النتيجة إذا ما ضمت نتائج دراسة الصفات الدموية المختلفة بعضها إلى بعض ،

---

(١) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 117

(*) انظر : فاروق عبد الجواد شويقة : « الكيبوانيون » مصدر سابق .

(٢) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 116

(٣) Coon, C. S. : The Living Races of Man, p. 286

(٤) Ibid, p. 287

(٥) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 116

(٦) Loc. cit.

(٧) Ibid, p. 117

وهذا يؤكد العزلة الوراثية التى يحياها الأقزام نتيجة التراكم أوالعزلة أوالإثنين معاً، وهى التى أكدت صفاتهم الخاصة خلال خط سلفى طويل من العزلة(١) .

هذا ويمثل نمط الخلية المنجلية Sickle-Cell الذى يعمل على زيادة القدرة على تحمل الإصابة بالملاريا صفة موجودة لدى ٢٦٪ من الأقزام المستقرين فى منطقة انتشار الملاريا وتبعاً لاتجاه التأثير الجينى ، فغالباً ما كانت هذه الصفة أساساً عند الأقزام ثم انتقلت إلى الزنوج(٢) . والملاحظ قلة تردد أليل ,D (الخاص بانتقال الصفات) إذ لا يتعدى نسبته عند المبوتى ٣ ٪ وهى نسبة أقل من المعدل السائد عند جماعات أفريقيا جنوب الصحراء(٣) .

ومن ناحية الصفات الوراثية للدم يحمل المبوتى الصفات الأفريقية الواضحة، بل إن موضعهم يحتل أقصى درجة للمدى الأفريقى من حيث التباين، على عكس ونقيض القطب الآخر الذى يحتله الأوربيون والعرب . ومن ناحية مجموعة Rh نجد أن لديهم أعلى نسبة (٢٣ ٪) من تردد R_o^u ، وأيضاً أعلى نسبة (٧١ ٪) من تردد R_o ، بينما لا توجد لديهم لأليلات السالبة(٤) من الـ Rh ، ومن الصفات الجديرة بالإشارة أن زمن الرجع (مدى الاستجابة) عند الأقزام أطول بنحو ٣ / ١٠٠ من الثانية(٥) .

هذا عن الصفات الباطنية أما الصفات الانثروبومترية فنجد أن الرأس غالباً ما تكون متوسطة (المعامل ٧٩) (٦)وأحياناً عريضة (حتى ٨١) ولما كانت هذه الصفة لصيقة بهم فان أى ظهور لها عند جيرانهم الزنوج (أصحاب الرأس الطويل) يدل على اختلاطهم بالأقزام(٧) ، وتشبه الرأس وإلى حد ما الوجه مثيلاتها عند

---

(١) Loc. cit.

(٢) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 652

(٣) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 116—117

(٤) Ibid, p. 116

(٥) روستان ، جان : الإنسان ، ترجمة محمد عبد الرحمن مرحباً . بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٦٤ ، حاشية ص ١٦

(٦) Keane, A. H. : Man Past and Present, p. 125

(٧) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية ، ص ٤٣

الجماعات الأفريقية ذات الأصل المشترك الذين يقطنون الغابات المطيرة (١) .
أما المخ (*)فقد اتضح من دراسة أجريت على الأقزام أنه يصل إلى أقصى نمو له بعد المولد بنحو عشرين شهراً حيث تتضاعف خلاياه العصبية حيث يصل حجمه فى فترة مبكرة إلى حجم مخ البالغين(٢) والرأس بعامة ليست صغيرة بل هى نسبياً أكبر من أية سلالة زنجية أفريقية (٣)،حيث قدر حجم فراغ دماغ الذكور بنحو ١٤٢٨ سم٣ والإناث بنحو ١٢٦٨ سم٣، وذلك من دراسة ثمان حالات ومع أن هذا ليس دليلا أحصائياً كافياً لأن هذا العدد لا يعتبر ممثلا للمجتمع ،إلا أن القياسات التى أجريت على الأحياء تعزز الأخذ بهذه الأرقام(٤) . هذا وكانت السلالة القزمية واسعة الانتشار ليس فقط فى القارة الأفريقية بل أنها وصلت أيضاً إلى جنوب ووسط أوربا (الجماجم القزمية microcephelic) التى عثر عليها سيرجى فى إيطاليا والهياكل القزمية فى قبور سويسرا(٥)وبدليل ما توصل إليه سيرجى أيضاً بالنسبة لارتفاع قامة الأحياء (جدول رقم ٥) .

---

(١) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 118

(*) هناك علاقة بين حجم الجسم وحجم فراغ الدماغ فقد وجد أن حجم فراغ الذكر أكبر من حجم فراغ الأنثى ، كما وجد أن أصحاب الرؤوس العريضة Brachycephalic من سيبيريا وشمال أمريكا وبولينيزيا عندهم متوسط كبير لحجم فراغ الدماغ (١٥٠٠ سم ٣ للذكر البالغ) ، وكذا اليابانيون والصينيون الشماليون والأوربيون الشماليون والأواسط متوسطو الدماغ فحجم فراغ دماغهم ١٤٠٠ سم٣ . هذا بينما الناس صغار الجسم الذين يحيون فى المناطق الدفيئة فى أوربا وآسيا وأمريكا والجماعات الإفريقية عموماً يصل حجم فراغ دماغهم فى المتوسط ما بين ١٣٠٠—١٤٠٠ سم ٣ ، وهناك بعض الأقزام وبعض الإستراليين الأصليين يصل حجم فراغ دماغهم إلى أقل من ١٣٠٠ سم ٣ ، ومع ذلك فإن هذا ليس قاعدة ، حيث أنه يوجد هناك بعض السيبيريين ذوى أمخاخ أقل من بعض الإستراليين كما أن هناك بعض الإفريقيين ذوى أمخاخ أكبر من كثير من الأوربيين .

(٢) Hiernaux, Jean: The People of Africa, p. 118

(٣) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 26

(٤) Ibid, p. 646

(٥) Sergi, G : The Mediterranean Race; A study of the Origin of European Peoples. p. 234

جدول ٥ ــ النسبة المئوية للقزمية فى الذكور فى إيطاليا فى أوائل القرن العشرين (١)

ارتفاع القامة متر	النسبة المئوية من إجمالى السكان فى فئة السن
١ر٢٥ — ١ر٥٣	١٤ر٤٩
١ر٢٥ — ١ر٤٥	١ر٦٣

وعند الأقزام رؤوس كبيرة بالنسبة لأجسادهم رغم أنها أقل قليلا فى الطول عن سائر مواطنى الغابات الرطبة المجاورين لهم وتساوبها فى العرض ، مما يعطها شكلا دائرياً أكثر ، ومن أهم صفات الأقزام الأنف العريض والفم الواسع ، فعرض الأنف يتجاوز بكثير إرتفاع الأنف ، كما أن جزر الأنف منخفض مع وجود إنتفاخ فى قمتها مما يعطها فوق الوجه شكل مثلث متساوى الأضلاع . وللفم شفاه رقيقة ، وتبدو المنطقة ما بن الأنف والفم على شكل محدب Convex نظراً للبروز الواضح لمنطقة أسفل الأنف Subnasal ونظراً لبروز الفكين تبدو الذقن متراجعة receding (٢).

وقد إتضح من بعض القياسات الانثروبومترية التى أجريت على الرأس والجسم على أفراد الأقزام من جماعة سوا كوبا Cwa Kuoa بأنهم قريبين من الزراع الهومو ــ أمبا Humu-Amba الذين يعيشون فوق السفوح السفلى من جبال رونزورى بالقرب من الحدود الزائيرية الأوغندية وعبر وادى نهر سمليكى وقريباً من جماعة بيرا Bira غابة إيتورى (٣) of the Ituri forest

---

(١) Ibid., p. 236

(٢) Hiernaux, Jeun, : The People of Africa, p. 115—116

(٣) Ibid, p. 122

وجزع trunk الأقزم طويل (١) بمعنى أن معامل كرومك Cromic Index (*) كبير (أكبر من ٥٣) (٢) أى أنهم غير متناسقين (٣) ، وقد تظهر بعض حالات تضخم العجز Steatopygia (٤) ولكنها بعامة تكاد تكون غير ملحوظة (٥) ، كما أن عظام الحوض pelvis عند الأقزام تتميز بصفات تشريحية خاصة (٦)، والأطراف العليا أطول من الأطراف السفلى (٧)، إذ الملاحظ أن الأذرع طويلة للغاية بالنسبة لطول الأرجل (٨)، كما أن الساق أقصر عادة من الفخذ (٩)، وقصر الأرجل هى السبب فى قصر قامة القزم الأفريقى (١٠).

والوجه قصير جداً (١١) ويتجه إلى العرض وبعامة به بروز Prognathic (١٢) مما حدى بالسير هارى جونستون Harry Johnston إلى إطلاق هذا المصطلح « قزم ببوز Pygmy-prognathous » (١٣) عليه ، ويغلب على عظام الوجنة Cheek-bones — مثلهم مثل المجموعة الكيبوانية — أنها ناتئة بوضوح وهى تصنع

---

(١) Keane, A.H. : Man Part and Present, p. 125

(*) $$\text{Reliative sitting height} = \text{Cromic Index} = \frac{\text{إرتفاع الجلوس} \times ١٠٠}{\text{إرتفاع القامة الكلى}}$$

(٢) فاروق عبد الجواد شويقه : الأنثروبو متريا ، بحث غير منشور ، ص ٦٠ .

(٣) Huntington, E. : The character of Races, p. 78

(٤) Keane, A.H. : op. cit., p. 125

(٥) Seligman, C.S. : Races of Africa, p. 27

(٦) Dart, R.A. : "The Second Adolescent (Female) Ilium of Australopithicus prometheus. *In :* America Jounal of Physical Anthpology. Vol. 2, No. 1, 1957, p. 73—82

(٧) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 645

(٨) Seligman, C.G. : Races of Africa, p. 27

(٩) Coon, C.S. : Op. cit., p. 654

(١٠) محمد عوض محمد : الشعوب والسلا لا ت الإفريقية ، ص ٤٣ .

(١١) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 654

(١٢) Keane, A.H. : Man Part and Present, p. 125

(١٣) Seligman, C.G. : Races of Africa, p. 27

وجه مثلث الشكل triangular form (١) ، والملاحظ أن الفكين Jaws عظيمى البروز highly prognathous (٢).

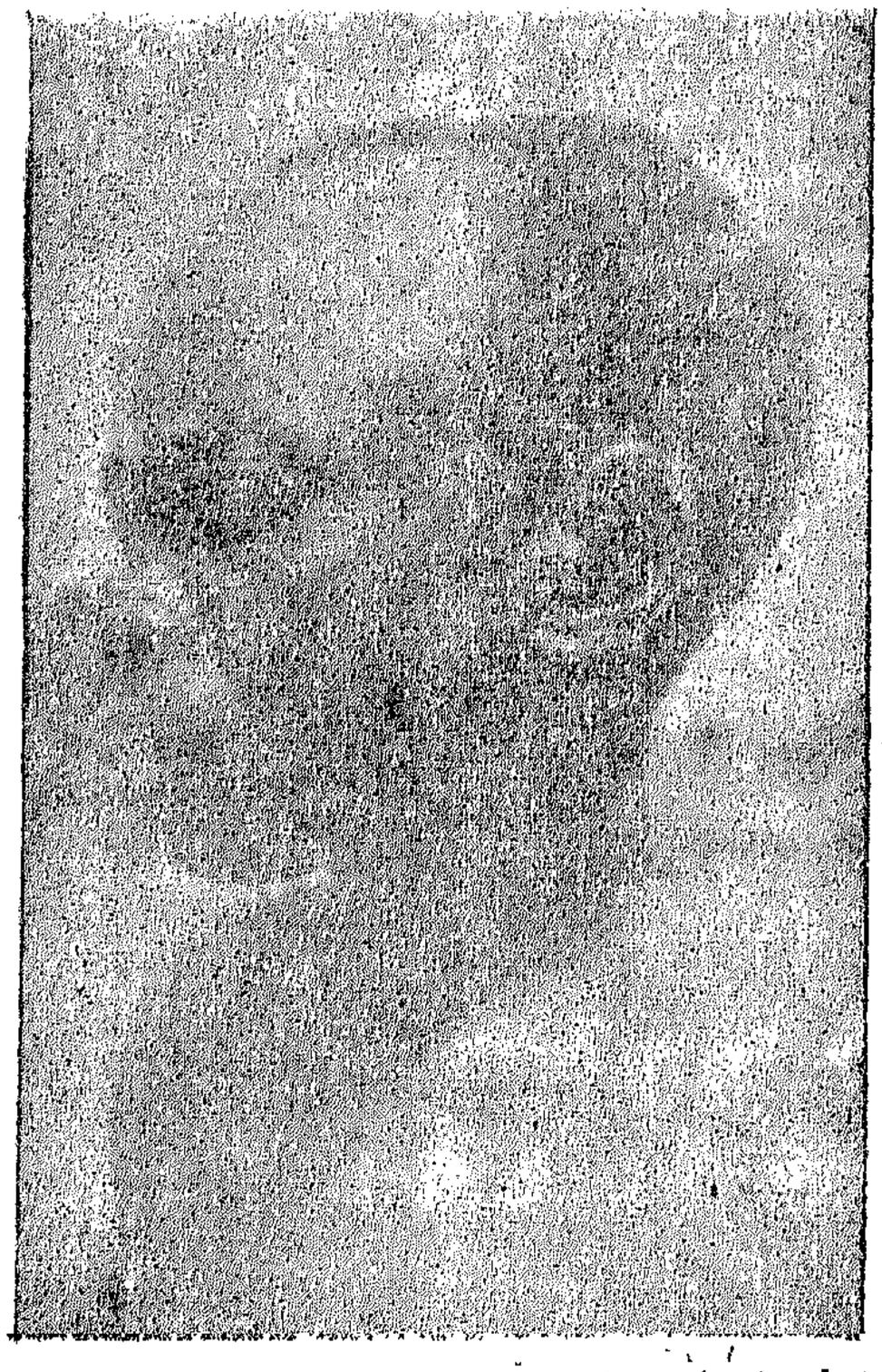

(من : كون : أصل السلالات)

لوحة رقم ٣ ــ قزم من زائير ، وتلاحظ السمات القزمية : الوجه القصير والعريض ، العيون الواسعة الناتئة ، بروز اسفل الانف ، الانف القزمية (قصيرة وعريضة جدا والجذر الهابط العريض) ، الفم الكبير والذقن متراجعة ، وبعض السمات القوقازية (الصلع).

والجبهة منتفخة bullbous (٣) وفى الحقيقة الشفاه دائماً رقيقة (٤) (*) (لوحة رقم ٣) والأنف ــ مثل البوشمن والهوتنتوت ــ قصير وفتحتاها عريضة جداً (معامل

(١) Keane, A.H. : op. cit., p. 85

(٢) Loc. cit.

(٣) Howells, William: Mankind in the Making; the story of Human Evlution. New York, Doubleday Co., 1959, p. 305

(٤) Keane, A.H. : Man Past and Present, p. 125; Hienaux, J. : The People of Africa, p. 116

(*) يذكر محمد عوض محمد أنها غليظة ؟ (الشعوب والسلالات الإفريقية ، ص ٤٣) (أنظر الصورة !! لوحة رقم ٣) .

أنف الأحياء أكثر من ١٠٠ ، وجذرها منخفض ومفلطح ، وهى دائماً من النمط العريض Platyrrhine (١)، حيث يقرب معامل الأنف عند الأقزام من معاملها عند البوشمن (٢)(لوحة رقم ٤) .

(من : هوتون)

لوحة رقم ٤ ــ رجل من الاقزام (باكوا Bacwa)

نموذج للمظهر الطفولى

والعيون كبيرة ناتئة بارزة Protuberant (٣) ، كأن تكون بسبب الجوتر الجحوظى Exophthalmic goiter .(×)ولون قزحية عيونهم بنى غامق ولكن الصلبة

---

(١) Keane, A.H. : Ibid, p. 85

(٢) Kelso, A. : Physical Anthropology ; an introduction. Philodelphia, J.B. Leppincott, 1970, p. 247

(٣) Keane, A.H. : Op. cit., p. 125

(×) وهو مرض جريفز Graves's disease = إزدياد نشاط الغدة الدرقية وتوتر وخفقات القلب وارتفاع معدل الأيض وجحوظ العينين ، وهو مرض وراثى ذا نفاذية جزئية ويغلب ظهوره فى الأناث (Montagu, A. : Human Henedity, p. 375)

sclera (القرنية cornea) بيضاء اللون وليس بها بقايا بقع لونية مثل الملاحظ عند كثير من الزنوج أو الأستراليين الأصليين(١).

ورغم ما كتب عن أسنان(× ×)الأقزام قليل إلا أنه من الواضح أنها كثيرة التلف كما أنها سرعان ما تتساقط ، وإلى جانب ذلك فانها ليست صغيرة الحجم مثل أسنان البوشمن (٢).

(من : هوتون)

لوحة رقم ٥ ــ رجل من الاقزام (الباكانجو Bakango)
نموذج للبالغين

والشعر قصير وصوفى wooly أولولي frizzly أو مجعد Crisp (لوحة رقم ٥)، ودائماً ذا لون غامق بنى بلون الصدأ rusty . وشعر الوجه متباين

(١) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 654

(××) هناك فروق فى الأسنان بين السلالات حيث نجد أنه عند القوقازيين يكون حجم السن الجانبي العلوى أصغر من السن الأوسط بينما هذا الفرق ليس محسوساً فى السلالات الأخرى .

(Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 353)

وانظر للأهمية : Flower, H.W. : "On the size of Teeth as a character of Race. *In* : J. R.A. I., Vol. 14, 1885, p. 183—6

(٢) Coon, C.S. : The Origen of Races, p. 654.

Vaeriable ولكن الجسم مغطى بزغب خفيف خاصة منطقة الصدر ، وهذا الشعر ليس من الزغب الجنينى fetal lanugo (×) كما يذكر البعض ولكنه من شعر الجسم العادى . هذا وكثير من أطفال الأقزام من ذوى الشعر الأحمر ولكن هذا يظهر نتيجة مرض غذائى هو الكوشيركو Kwaskkior (١) (△).

ولون البشرة بنى محمر أو مصفر وأحياناً غامق جداً (٢)، وقد يكون بنى باصفرار (٣)، وبعامة فان لون البشرة متباين ، ولكنه ليس أسوداً وليس أصفر كما هو الحال عند البوشمن ، ولكنه فى العادة بنى داكن محمر وهو اللون الذى أطلق عليه جيتس Gate, R.R الماهوجنى mahogany (٤) ، وقد لوحظ أن الأقزام الذين يعيشون فى الخلاء أكثر سواداً من هؤلاء الذين يعيشون داخل الغابات ، كما لوحظ أن لون البشرة بينهم أكثر تنوعاً (٥) .

ويوضح الجدول رقم (٦) مقارنة عامة بين نمطين من الزنوج وبين الأقزام .

(×) شعر البطن (كما يطلق عليه عادة فى مصر) أى الشعر الذى ينزل به المولود من بطن أمه

(١) Loc. cit.

(△) يتفشى هذا المرض بمعدلات عالية فى البيئات الفقيرة ، فهو من أمراض سوء التغذية ويظهر نتيجة تربية الأطفال على وجبات غذائية مكونة أساساً من النشويات والمحاليل السكرية ويكاد ينعدم فيها البروتين (فاروق عبد الجواد شويقة : « نطاق الجوع فى غرب إفريقيا » فى : معهد البحوث والدراسات العربية : الدراسات الخاصة . المجلد الأول . القاهرة ، المعهد ، ١٩٧٦ ، ص ٣٩٢ — ٤٢١) .

(٢) Keane, A.H. : Man Past and Present, p. 125

(٣) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الإفريقية ، ص ٤٣]

(٤) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 654

(٥) إبراهيم رزقانة : العائلة البشرية ، ص ٢٩٩

جدول ٦ — مقارنة مورفولوجية بين نمطين من الزنوج وبين الأقزام في أفريقيا (١)

الصفة	الأقزام	البوشمن	زنوج الغابة (الحقيقيون)	الزنوج النيليون
القامة (سم)	١٤٢	١٤٥	١٧٢	١٧٨
لون البشرة	بنى داكن—أسود	بنى مصفر	بنى داكن—أسود	أسود—بنى داكن
شكل الرأس	متوسط—عريض	طويل—متوسط	طويل	طويل
ارتفاع قبو الرأس	متوسط	متوسط-منخفض	عال	عال
الجبهة	بارزة	منحدرة	رأسية—منحدرة	قليلا منحدرة
عظام الحاجبين	غير موجودة	ضعيف	ضعف—غير موجودة	ضعيف
بروز الفك العلوى	شائع	متوسط	شائع	خفيف-غيرموجد
الشكل الجانبى للأنف	مستقم—مقعر	مقعر	مقعر—مستقم	مستقم—مقعر
شكل منخارى الأنف	عريض جداً	عريض جداً	عريض	عريض
طية الجفن العلوى	—	داخلية	—	—
العين (الطية المغولية)				
لون قزحية العين	بنى داكن	بنى داكن	بنى داكن—أسود	بنى داكن
لون الشعر	أسود	أسود	أسود	أسود
شكل الشعر	صوفى—مفلفل	مفلفل	صوفى	صوفى
شعر الجسم	قليل	قليل	قليل	قليل

(١) محمد رياض : الإنسان ؛ دراسة فى النوع والحضارة . ط ٢ . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٢

وقد إتضح للدكتور جوى ثلمانز Dr. Guy Thilmans بعد إجراء عشر قياسات حيوية biometric (إنثروبومترية) على الرأس والوجه أن المبوتى تتقارب مع الجماعات الزراعية الغابية القاطنة فى جابون وزائير فهذه الجماعات أكثر قرباً وتشابهاً للمبوتى مع جماعات أخرى تعيش خارج الغابة مثل تيتا Teita فى كينيا وزولو Zule فى جنوب أفريقيا ، كما أن الفارق بين المبوتى والبوشمن كبيراً أيضاً (×). ومع ذلك فالمبوتى أفتح بشرة من جيرانهم الزراع ،ومن صفاتهم الأخرى الواضحة كثرة الشعر على الجسم وهذه سمة تفرقهم عن جيرانهم بوضوح (١).

والملاحظ أن للبيئة تأثيراً واضحاً على نمط السكان (الأهالى) ويظهر ذلك من مقارنة البيانات الموضحة بالجدول (رقم ٧) الذى تظهر به بعض القياسات الانثروبومترية عن الأقزام المبوتى والجماعة القزمية Pygmoid توا إكوندا Twa Ekonda التى تعيش فى غابات الكونغو ، والبيرا الغابية Forst Bira والتى تعيش فى ذات البيئة الغابية ، وبيرا السافانا Savanna Bira التى تقطن نطاق السافانا .

(×) إذ أن الفك العلوى عند النجريللو بارز Prognathous بينما هو عديم البروز onthognathous عند البوشمن ، ويلاحظ أيضاً أن هذا الفك عند النجريتو قليل البروز .

(١) Hiernaux, Jeean : The People of Adrica, p. 115
(Montagu, A. : An Introduction to Physical) Anthropology, p. 437

جدول ٧ — يوضح مقارنة أنثروبومترية بين المبوتى وتوا إكوندا ونمطى البيرا الغابية والسافانية (١)

الصفة	المبوتى	توا إكوندا	البيرا (غابات)	البيرا (السافانا)
N	٧٨	١٠٨	١٩٥	١٦١
القامـــة	١٤٤	١٥٧	١٥٨	١٦١
طول الطرف السفلى	٧٨	٨٧	٨٩	٩٣
عرض الكتف	٣١٥	٣٤١	٣٦١	—
عرض الحوض	٢٤٠	٢٣٢	٢٤٥	—
طول الرأس	١٨٤	١٨٧	١٨٨	١٨٩
عرض الرأس	١٤٢	١٤٥	١٤٦	١٤٥
إرتفاع الوجه	١٠٤	١١٦	١١٦	١١٧
عرض الوجه	١٣٣	١٣٤	١٣٩	١٣٨
إرتفاع الأنف	٤٣	٥٠	٥٠	٥٠
عرض الأنف	٤٥	٤٤	٤٥	٤٥
سمك الشفاه	١٥	٢٥	٢٢	—
الطول النسبي للطرف السفلى	٥٤ر٥	٥٥ر٤	٥٦ر٦	٥٧ر٤
معامل الرأس	٧٧ر٠	٧٧ر٤	٧٧ر٩	٧٧ز٤
معامل الوجه	٧٨ر٣	٨٦ر٩	٨٣ر٩	٨٤ر٥
معامل الأنف	١٠٣ر٨	٨٧ر٨	٩٠ر٣	٨٩ر١

أما بالنسبة لبصمات الأصابع فقد إتضح أنه للمبوتى أعلى تردد فى العالم من نمط الأقواس Arches (١٦٪)(٢) ، وهى نسبة عالية حتى بالنسبة لبقية سلالات

(١) Ibid, p. 183,.188

(٢) Ibid, p. 116

الأقزام الأفريقية (١٠٪ وأكثر قليلا)(١) ، كما ترتفع نسبة تكرار نمط العقود Loops عند الأقزام الأفريقيين غير الكيفو(٢) ، هذا والملاحظ أن نمط الدوامة whorl لاتزيد نسبتها عندهم عن ١٠٪ وهى نسبة تميز القوقازيين وكل الأفريقيين(٣)

وبعامة فانه يمكن تقسيم الأقزام الأفريقيين من حيث الصفات المورفولوجية إلى مجموعتين :—

١ ــ مجموعة ذات بشرة حمراء أو سمراء مشربة بصفرة مع ميل إلى الحمرة فى شعر الرأس ، والأرداف ليست متضخمة .

٢ ــ مجموعة ذات بشرة سوداء وشعر أسود وقامة أطول قليلا ، والعجز متضخم (٤) .

وفى الحقيقة لا توجد وحدة بين الأنماط الجسمية للنجريللو حيث يلاحظ الإختلاف الواضح بين القبائل المختلفة ، ولكن الصفة الوحيدة المشتركة هى قزمية القامة . ويعتبر أفراد قبيلة أكا Akka وقبيلة بابينجا Balbinga هى أنقى هذه السلالة حيث نجد أن لون البشرة لديهم أصفر — محمر neddish-yellow أو بنى فاتح light brown ، والشعر قصير short وصوفى woolly ، والعيون بنية brown ، وتتجه الرأس إلى العرض brachycephalic (المعامل ٧٩)، والأنف عريض جداً وبصورة غير عادية مع تفلطح فى جذرها بحيث تصنع مثلث متساوى الأضلاع وتعتبر هذه السمة من أهم الصفات المميزة لهم ، والجزع طويل ، والأرجل قصيرة ، وأذرع أكثر طولا ، ويغطى الجسم عادة شعر ناعم downy خفيف light ، هذا والبنية متينة البناء (٥) .

---

(١) Hulse, Frederick S. : The Human Species, p. 321

(٢) Coon, C.S. : The living Races of Man, p. 260

(٣) Loc. cit.

(٤) إبراهيم رزقانة : العائلة البشرية ، ص ٢٩٩

(٥) Keane, A.H. : Man Past and Present, p. 123

أما النجريتو فمن أهم صفاتهم المورفولوجية القامة القصيرة (١٤٥ — ١٥٠ سم) والبشرة ذات اللون الأسود ، والرأس العريض (٨٠ — ٨٣) ، والوجه العريض ، والشفاه الغليظة ولكن غير المقلوبة ، والأنف العريض (١)(×).

ويختلف لون بشرة النجريتو عن النجريللو أيضاً فى أن بشرتهم سوداء اللون، بينما لونها عند النجريللو أصفر مع ميل إلى السواد ، وكذلك يختلفان فى طول القامة حيث أن النجريتو أطول ، أما فى غير ذلك فهما متشابهان (٢)، هذا وقد أوضحت بعض الدراسات السيريولوجية الحديثة على ٤٨ من النجريتو وجود تردد عالى للغاية من Gm′,21 وهو نمط دموى لا وجود له فى أفريقيا (٣)، وهذا يشكك فى الدعوى القائلة بوجود صلة بين النجريتو والنجريللو .

وقد اتضح بعد إجراء دراسات عديدة على نظم دموية مختلفة منها
(ABO, Rh, MN, Haptoglobins transferins, Gm)
أن كلا من المبوتى والبنجا وجماعات الزراع فى وسط أفريقيا تتقارب بنفس الدرجة من بعضها البعض(٤)،وهذا دليل على انفتاح الجينبول الخاص بها من بعضها البعض وما يستتبع ذلك من تقارب فى كل شىء ثقافى آخر خاصة اللغة(٤).

ويوضح الجدول التالى (رقم ٨) بعض القياسات الانثروبومترية التى تعطى صورة عن أبعاد جسم الأقزام .

---

(١) إبراهيم رزقانة : العائلة البشرية . القاهرة ، مكتبة الآداب ، ١٩٥٠ ، ص ١٩٨

(×) من الدراسات الأنثروبومترية القيمة التى أجريت على النجريتو البحث التالى :
Cappieri, Mario : "The Recial Hiomogenity of the Andamanese I,II. "*In*: Mankind Quarterly,1970, No. 10, p, 199—212, No. 11, p. 19—44

(٢) جورجى زيدان : طبقات الأمم . القاهرة ، مطبعة دار الهلال ، ١٩١٢ ، ص ٧٥

(٣) Steinberg, Anther G. and lie Ingia, Luan Eng : "Immunglobulin G Allotypes in Malayan Aborigines". *In :* Human Heredity. Vol. 22, No. 3, 1972, p. 254—258

(٤) Hockelt, Charles F. : "On Race and Language . *In* : Coon, C.S. : The Living Races of Man. New York, Alfred A. knopf, 1965, p. 40—42

جدول ٨ – يوضح بعض القياسات الانتروبومترية لحالة دراسية قزمية من نمط الدورف Dwarf من الحينبول المصرى (×)(١)

الصفة (٢)	القياس
الوزن	١٩
القامة	١١٦٧
g—p	١١٧
eu—eu	١١٣
go—go	٧٩
zy—zy	١٠٤
ft—fi	٩٢
n—gn	٩٥
n—sto	٥٦
n—sn	٣٦
al—al	٣٠
a—a	٢٨٤
ic—ic	٢١٨
vt—sy	٥٦٩
ac—do	٤٧٤

(×) أجرى الباحث هذه القياسات على حالة دراسية (عم – عبده فراج ٨٠ سنة) فى ٦ أبريل ١٩٧٤ ، وكان المزمع تتبع حالته من خلال أسلافه، إلا أنه مرض وتوفى فى مايو ١٩٧٦ ، فرحمة الله عليه وعلينا جميعاً .

(١) لمعرفة دلالات الرموز يرجى الرجوع إلى أى من المصادر المتخصصة فى الأنثروبومتريا (مثل : فاروق عبد الجواد شويقة : مذكرات فى الأنثروبومتريا) ، إذ يصعب شرح دلالات الرموز هنا ، وقد اتبعنا فى ذلك العرف العلمى السارى (أنظر : (Publications of the Joint Arabic –Polish Anthropological Expedition. Vol. 2, Cairo, 1964).

هذا وقد ظهرت عدة أنماط مختلفة نتيجة إختلاط المبوتى مع الزراع المجاورين فى نحو عشر قياسات وليس فقط فى القامة، منها جماعة سوا كوبا Cwa of the kula (١)، حيث إتضح أن ١٪ من شبابهم اليوم يرجع فى الأصل إلى سلف من الزراع (٢)، وقد أكدت ذلك الدراسة الوراثية لمجموعة الدم ABO وهى تلك التى دلت على أن الوعاء الجينى genepool أكثر قرباً من البوشنج Bushong عن المبوتى، وبالمثل يقال عن توا بوليا Twa of the Bolia وتوا مونجو Twa of the Mongo فى المديرية الاستوائية فى زائير (٣)، فبالنسبة لمجموعة الدم ABO يعتبر أسلاف السوا والتوا، من الجماعات القزمية فى جنوب وغرب زائير التى تخرج عن الوعاء الجينى للمبوتى (٤).

هذا والرأى الجديد القائل باختلاف الأقزام عن الزنوج هو السائد الآن، رغم قول عوض (١٩٦٥) نقلا عن سليجمان (٥)(فى أحدث طبعات كتابه المعاصرة لعوض وهى الطبعة الثالثة ١٩٥٧)(X)من أن سلالة الأقزام تمت بأواصر القرابة إلى المجموعة الزنجية (٦)، ومع أن كون قد ذكر هذا الرأى أيضاً (١٩٦٣–١٩٦٥)(٧) إلا أن الكثيرين من الانثروبولوجين أمثال فالوا Vallois, H. (١٩٤٨)

---

(١) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 124.

(٢) Heirnaux Jean : "Les Bushong et les Twa du royaume Kuba (CongoLé–opoldville), pygmées, pygmoides et pygmération, anthopologie Linguistique et expansion bantoue. "*In :* Bullatines Memoier de la Société d'Anthropologie de Paris, Vol. 9, 1972, p. 299—336

(٣) Hiernaux J. : "Donnéer génétiques sur six populations de la République du Congo. "*In :* Ann. Soc. Belgen. Med. Trop., Vol. 42, 1963, p. 145—174

(٤) Hiernaux, J. : The people f Africa p. 124

(٥) Seligman, C.S. : Races of Africa,

(X) هناك طبعة رابعة أخرى عام ١٩٦٦، صدرت لها إصدارة ثانية عام ١٩٦٧، هى التى اعتمدنا عليها فى المقال المعروض

(٦) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الإفريقية، ص ١٤.

(٧) Coon, C.S.: The Origin of Races, p. 652, Coon, C.S. with Hunt, E.E.: The living Races of Man, p. 102

وبياسوتى Biasutti, Renato (١٩٥٩) ومردوك Murdock, P.G. (١٩٥٩) ومونتاجو Montagu, A. (١٩٦٠)؛إعتبروهم سلالة مستقلة كما ذكر ذلك أيضاً كوماس Comas, J. (١٩٦٠) (١). وإذا دققنا النظر نجد أن هذه الآراء الحديثة لا تتعارض كثيراً مع رأى كون الذى نقدره حق قدره، إذ أنه إعتبر الأقزام مشتركين مع الزنوج فى تحت نوع Subspecies واحد أو مجموعة سلالية كبرى تشمل ضمن ما تشمل السلالة القزمية وتلك حقيقة انثروبولوجية واضحة .

الجوانب الثقافية والحضارية

تتابعت بعد تعريف تيلور للثقافة (*)، الكثير من التعريفات لعل من أهمها ما ذكره كلوكهون وجيلى (١٩٤٥) (٢)من أن الثقافة : نظام للحياة مستمد من التاريخ ومن هذا النظام ما هو واضح للعيان ومنه ما هو ضمنى ولكنه مفهوم ، ويشترك فى هذا النظام كل أفراد الجماعة أو أعضاء مقصورين منهم بنوع خاص ثم ما ذكره كون (١٩٥٤)(٣) من أنها : « مجموع كل الأشياء التى يفعلها الناس نتيجة لتعلمهم ذلك » . أما لنتون (١٩٥٥) (٤) فقد قال أنها : « مجموعة منظمة من استجابات ملقنة تميز مجتمعاً معيناً » ، والثقافة عند مونتاجو Montagu, A.: « تلاؤم أبعاد الإنسان » وبهذا المفهوم أشرف على تحرير كتاب بهذا العنوان :

(*) Culture; Man's Adaptive Dimension

---

(١) Comas, Juan : Manual of Physical Anthropology, p. 596—600

(*) تعريف تيلور Tylor, B.E. للثقافة (١٨٧١) هو : « الثقافة هى ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وأى قدرات وعادات أخرى إكتسبها الإنسان من حيث هو عضو فى مجتمع » . (أحمد أبو زيد : تايلور - القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧ ، ص ١٩٥) .

(٢) Kluckhohn, ; C. & Gelly, W.H. : The concept of culture "*In* Linton, R. : The Science of Man in the world crisis. New York, Columbia Univ., Press, 1945, p. 921—976

(٣) Coon, C.S. : The story of Man. New York, Knoff, 1954, p. 118

(٤) Linton, R. : The Tree of culture. Now York, I. Therf, 1955, p. 47

(*) نشرته فى لندن عام ١٩٦٨ . مطبعة جامعة اكسفورد وهو يتضمن تسع مقالات علمية تدور حول العلاقة بين التكوين البيولوجي للإنسان ومعطياته وسلوكياته فى المجتمع .

فالثقافة بعناصرها المختلفة (مثل : المعرفة ، الفن ، العقائد ، العادات ، القانون ، الأخلاق . . . كما وردت فى تعريف تايلور — ١٨٧١) تكتسب ولا تورث وتنتقل بين الأجيال والأفراد عن طريق التقليد والتدريب والتعليم ، هذا وإن كان للجبلات) الأنماط الوراثية (دور فى تسهيل أو تصعيب نقل بعض عناصر الثقافة من جيل إلى آخر .

وتتكون الحضارة من عناصر ثقافية متعددة منها المادى كالأدوات والآلات (التكنولوجية) ومنها المعنوى كاللغة والدين والأساليب الفنية ، وكل هذه العناصر المختلفة تكون الحضارة ، ومعنى هذا أن : « الثقافة ما هى إلا الوسائل التكنولوجية والفكرية التى يبتكرهما الإنسان والتى تصل به إلى مستوى عال من التقدم والرقى ، وهذا التقدم والرقى هو ما يمكن أن يسمى الحضارة ، وبذلك تعتبر الحضارة مستوى مركب ومتقدم من الثقافة بعناصرها ومكوناتها المختلفة ، وعلى ذلك فالثقافة تتكون من أشياء مادية أساساً ، بينما الحضارة ليست إلا شىء معنوى غير مادى . وإذا كانت الحضارة هى هدف الإنسان فوسيلته إليها هى الثقافة » (١).

وتعتبر العناصر الثقافية من أهم المقومات الأساسية التى تحدد الجماعات العرقية ethnic groups (stirpes groups) مما يخلق فروقاً ولو طفيفة فيما بينها ، رغم كونها تكون وحدة حضارية متجانسة إذا ماقورنت بغيرها من الجماعات . هذه الصورة نجدهـا فى مجتمع الأقزام الأفريقيين رغم أن أنماطهم الثقافية (٢) البسيطة (٣) شأنها فى ذلك شأن الجماعات البدائية من جامعى الغذاء ، وهى التى كانت تحيا فى العصور الحجرية ، والتى تمثل المراحل الأولى للتطور العضوى والتقدم الثقافى للإنسان (٤)

---

(١) فاروق عبد الجواد شويقة : « الكيبوانيون » ، ص ٤٤

(٢) من أبسط التقسيمات للمراحل الثقافية التى مرت بالإنسان ما قال به لويس مورجان Morgan, L. H. من أنها ترتبط بمراحل النمو والتطور وهى المراحل الثلاث : الوحشية ، البربرية ، المدنية (Morgan, L. H. : Ancient Society. New ed., New York, World Publisher Co., 1963).

(٣) Benedict, Ruth : Patterns of Culture. 6th pr. Boston, New American Liberary 1959, . p. 53.

(٤) Childe, V. Gordon : Man Makes Himself, rev. ed. New York, New American Liberary, 1951, p. 51

فى مراحله البدائية على إختلاف مفاهيم البدائية المتعددة (١) .

وتتركز أهمية الدراسات الاثنولوجية الحديثة فى إظهار مدى الترابط الذى يجمع الشعوب بعضها ببعض ، خاصة شعوب القارات العريقة كالقارة الأفريقية ، ذلك أن الوحدة السلالية والاثنولوجية هى أساس فكرة الأفريقية (٢) الحديثة ، وتلك كانت من أعظم الانتصارات التى حققتها الدراسات الانثروبولوجية ذات المنظور الجغرافى Anthropogeography ، وبها وبتطبيق منهجها العلمى والبحثى والدراسى ، يمكن تعميق مفهوم الأفريقية والتدليل بتلك الدراسات على أصالة شعوبها ومجتمعاتها وأن المستقبل والغد يحمل لها الكثير من الآمال والقليل من الآلام .

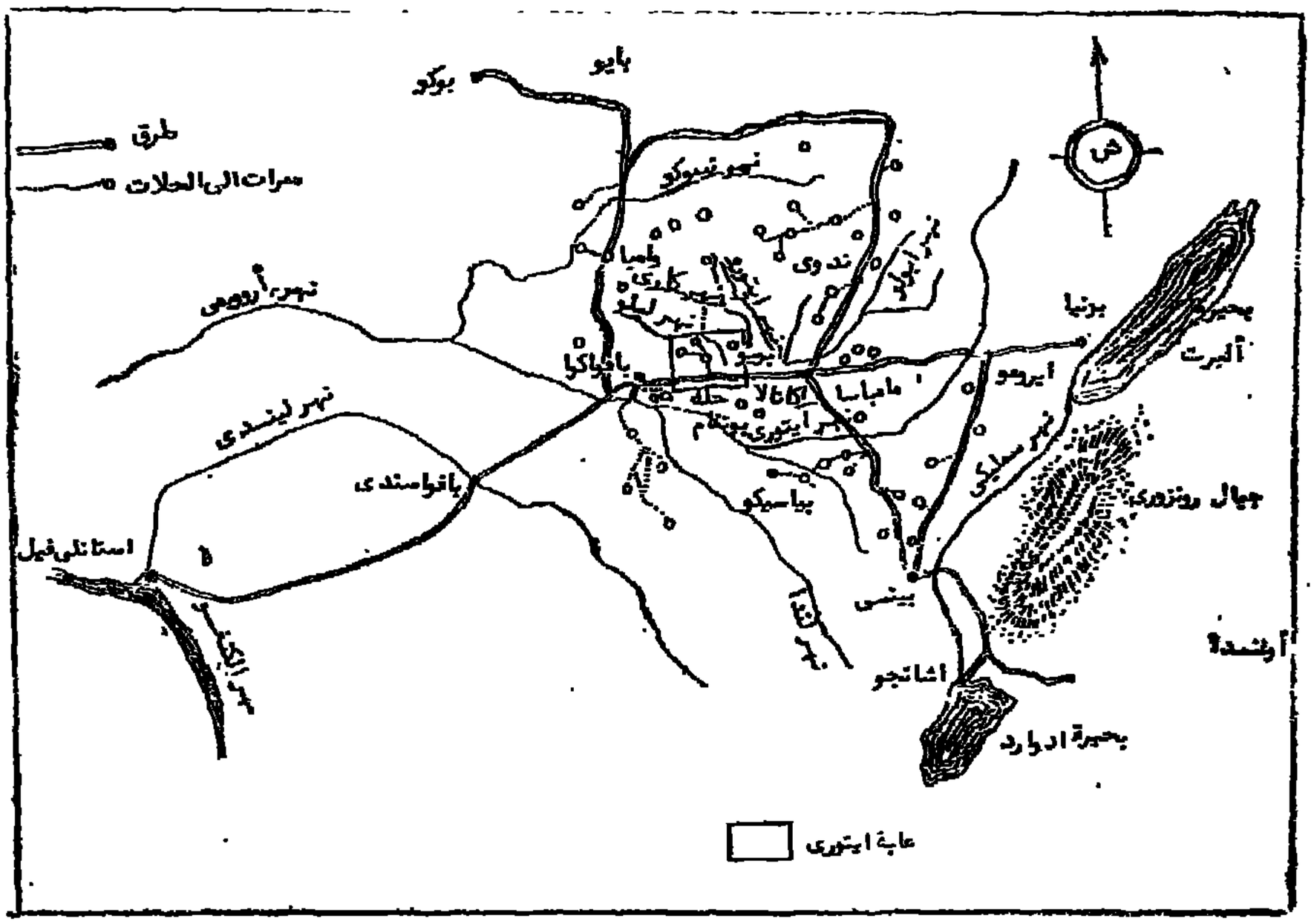

(من : ترنبول)

خريطة رقم ٣ ــ المقاطعة الشرقية فى زائير

---

(١) أنظر البحوث المنشورة فى : Montagu, Ashley: The Concept of Primitive. New York, The Free Press, 1968

(٢) Nye, Josepth S.: Pon–Africanism and Eazt African Integration, p. 42.

التقسيم العشائرى :

يعيش الأقزام الأفريقيون وسط الغابات الاستوائية (خريطة رقم ٣) محاطين بالزنوج طوال القامة (١)وكان يقدر عددهم عام ١٩٥٥ بنحو ١٦٨٫٥٠٠ نسمة(٢)، وذكر كون (١٩٦٥)(٣)أنه يمكن تقدير إجمالى عددهم بنحو ١٤٦ — ١٦٦ ألف نسمة وإن كان يرجح الرقم الأقل ، هذا ولا يتعدى عددهم الآن (١٩٧٧) رقم ١٧٠ ألف نسمة بأى حال ، ويجب ملاحظة أنه كان نتيجة طبيعية لزيادة عدد أفراد القبائل والجماعات المنتجة للغذاء (حيث يمكن — إذا ما توافر مورد غذائى مضمون أن يتضاعف عدد السكان كل خمسة وعشرين عاماً) إن قل بطريقة تلقائية عدد الجماعات التى تعيش على الصيد وجمع الغذاء كالأقزام (٤) .

والجدير بالإشارة أنه ليس للأقزام قبائل بل هناك عشائر صغيرة . ومع ذلك فان بعض مجموعاتهم تتسمى باسم واحد مثل الأكا Akka والاينى Efi وغيرهما(٥) ، حيث ترتبط كل جماعة من الأقزام مع قبيلة من زنوج البانتو الزراع للدرجة أن إسمهم يرتبط بهم،إذ غالباً ما يطلق على الأقزام لفظ : Ka — أو Koa — أو Twa — أو Cwa — وغالباً ما يضاف كبادئة لاسم القبيلة البانتوية بحيث تسمى جماعة الأقزام التى تعيش فى كنف الايكوندا Twa Ekonda (٦)مثلا وهكذا، هذا ويعيش كثير من عشائر التوا فى رواندا وبوروندى معتمدين على صناعة الأوانى الفخارية والرقص فى المناسبات الاجتماعية وخدمة الرؤساء فى مختلف الأعمال (٧).

ويبدو الفارق واضحاً من حيث التكوين الجسمانى بين جماعات الصيد والجمع وبين الآخرين من الزراع الذين يعيشون فى المناطق المجاورة لهم وفى منطقة الغابات

---

(١) إبراهيم رزقانة : مصدر سابق ، ص ٢٩٨

(٢) Guisinde, M. : "Pygmies and Pymoids. "*In* : Anthropological Quarterly, Vol. 28, No. 7, 1955, p. 3—61.

(٣) Coon, C.S. : The Living Races of Man, p. 102

(٤) Linton, Ralph : Tree of Culture, p. 28

(٥) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الإفريقية ، ص ٤٤ — ٤٤

(٦) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 120

(٧) Loc. cit.

الاستوائية ومع ذلك فانه يصعب وضع جماعات الصيد والجمع — إذا ما استبعدت المبوتى — كجماعة خاصة إذ أنه هناك من الأدلة التكوينية ما يؤكد وجود ترابط يمتد بين جماعة بوشونج Bushang التى تعيش فى نطاق السافانا وبين المبوتى الأقزام من خلال جماعة كوبا Kuba (١).

ولا تميز القامة القصيرة جماعات الصيد والجمع فى الغابة فقط ، ذلك أنه يوجد بين الجماعات القزمية منهم من الزراع طوال القامة ، بل أنه يوجد هناك بعض الجماعات التى تصل قامة الذكور من البالغين عندهم أقل مما هى عند سواكوبا Cwa Kuba(٢)، وتلك ظاهرة لا توجد فقط بين الجماعات الزراعية التى إتصلت بالأقزام Pygmies أو بالجماعات القزمية Pygmoids مثل بيرا Bira غابة إيتورى(٣) ، وكوتا Kota الجابون of Gabon (٤) فمتوسط قامة ذكور كل منهما ١٥٨ سم، بل أنها توجد أيضاً بين الجماعات الزراعية التى تحيا فى مناطق السافانا المكشوفة والتى لا تجاورها أى من هذه الجماعات البجمية أو البجمودية مثال ذلك سوكو Suknu الكاساى of Kassai فى جنوبى زائير الذين يبلغ عددهم ألفين نسمة بمتوسط قامة ١٥٧ سم (٥).

ومن أهم العشائر القزمية القديمة التى كانت تمتد أوطانها فى مناطق شاسعة فى أفريقيا العشائر التالية (٦) :—

---

(١) Ibid, p. 122

(٢) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 122

(٣) Sporcqu J.: "Les Bira de la savane et les Bira de la Forêt; étude Comparative de deux repulations de la Rerublique Démocrotique du Congo. "*In* : Bull. Mém. Soc. Anthrop. Paris, Vol. 9, 1972, p. 97—120

(٤) Lefrou, G. : Le Noir d'frique. Paris, Payot, 1943, p. 216

(٥) Van De Ginste, F. "Anthropometric study on the Bapende and the Bakusu of the Balgian Congo." "In Amrican Jour. of Physical Anthrop. Vol. 4, 1946, p. 125—151

(٦) Keane, A. H. : Man Past and Present, p. 123—125

١ ــ دوم Dume وكانت تمتد جنوب أرض الجالا وقد اكتشفهم دونالوسون Donaldson Smith (١٨٩٧)(*).

٢ ــ دوكو Doko التى رآها أنتوينى Antoine d'Abbadie عام ١٨٤٣ ووجد أن قامتهم فى المتوسط خمس أقدام ، ولذا لم يعتبرهم أنتوينى من الأقزام لأنهم أطول بنحو قدم عن الأقزام الحقيقين .

٣ ــ واندوروبو Wandorobbo وكانت تمتد أوطانهم إلى الشمال مع أوطان دوم ، كما كان يمتد نشاطهم جنوباً إلى أوطان الماساى وفيما بينهم وإن كان كين Keane, A.H. يشك فى حدوث صلة بينهما إذ أنهم يمثلون المرتبة الدنيا إجتماعياً فى هذا المجتمع (١).

هذا ويمكن تقسيم الأقزام الأفريقيين الحاليين إلى ثلاث مجموعات (٢):ــ

١ ــ النجريللو الشرقيون أو البامبوتى Eastern Negrillos or Bambuties الذين يعيشون فى أحواض روافد الكنغو : إيتورى Ituri ، ويللى Wells بوموكاندى Bomokandi . ومن أهم قبائلهم التى درست : ــ

إيفى Efe ، باتوا Batwa ، باكانجا Bakanga ، أكا Akka .

٢ ــ نجريللو الوسط (باتوا) (**) (Batwa) Central Negillos : وتستقر عشائرهم فى منطقة الثنية الكبرى لنهر الكنغو ،ويسمون أنفسهم الباتوا،ولكن تطلق القبائل المجاورة عليهم إسم باكوا Bacwa أو باتمبا Batemba ، وهم أطول قليلا من البامبوتى (الذكور ١ر٥٩ متر ، الإناث ١ر٤٨ متر) ربما نتيجة التزاوج المختلط miscegenation .

(*) "Through Unkown African Countries"

(١) Keane, A.H. : op. cit. p. 124

(٢) Comas, Juen: Manual of Physical Anthropology, p. 620—621; Cole, Sonia : Races of Man. 2nd ed. London, British Museum, 1965, p. 121

(**) وتعنى الكلمة البانتوية توا Twa « الصغار » (Coon, C.B. : The Living Races of man, p. 102)

٣ ــ النجريللو الغربيون (بابينجا (Babinga) Western Negillos ويعيشون فى أفريقيا الوسطى والكاميرون ويتكونون أساساً من ثلاث مجموعات :ــ

(١) باجييلى الكاميرون Bagielli of the cameroon الذين يقطنون فيما بين حوض نهر كامبو Kampo فى الجنوب وحوض نهر سانجا Sang فى الشمال .

(٢) بابونجو الجابون ووسط الكنغو Babongo of the Gabon and of the middle congo

(٣) بابينجا (باكا) (Baka) Babinga وسط الكنغو ومنطقة حدود الكاميرون ، الذين يستقرون فى الحوض الأدنى والأوسط لنهر سانجها Sangha .

ويقول مردوك(١)أن الأقزام الأفريقيين يحيون فى بعض مناطق موطنهم الأصلى، أو فى النطاق الخارجى من إقليم الغابات المدارية المطيرة . هذا ويمكن التعرف فيما بينهم على أربع مجموعات متميزة هى :ــ

١ ــ بينجا Binga (Yadinga; Babinga; Babenga) وهى تشمل بكو Beku ، بونجـــا Bonga (Babonga) ، جـــللى Jelli (Boyaeli ; Bodjili ; Bayele Baguielli ; Badiele) ، كوا Koa (Bakoa ; Akoa) ، كولا Kola (Bakola) ، كوبا (Kuya Bakouya) ، ريمبا Rimba (Barimba) ياجا (Yaga (Bayaka ; Bayaga)) . وتعيش هذه المجموعة ممتدة على طول ساحل الأطلنطى والمنطقة المظاهرة (الظهير hinterland) ، له مباشرة فيما بين خطى عرض ٥ شمالا ، ٥ جنوباً وكذلك فى المنطقة الداخلية الواقعة شمال خط الاستواء حتى خط طول ١٩ شرقاً . ويبلغ عددهم نحو ٢٧ ألف نسمة وهم قليلى الاختلاط .

٢ ــ توا الوسط Gentral Twa : وليس لهم تقسيمات قبلية ، وهم يعيشون بين أفراد جماعة المونجو Mongo البانتوية فى وسط زائير فيما بين خطى عرض ١° شمالا ، ٤° جنوباً وخطى طول ١٨° ، ٢٤° شرقاً . ويبلغ عددهم نحو

---

(١) Murdock, G. P. : Africa., p. 49

١٠٠ ألف نسمة، وقد أصبحت سماتهم الفيزيقية والثقافية « مونجونية »، نتيجة إختلاطهم وامتزاجهم الكامل مع أفراد جماعة المونجو ، رغم أنهم لا زالوا يعتمدون فى معيشتهم على صيد البر hunting ، وصيد الماء fishing بالإضافة إلى الجمع .

٣ — جيسيرا Gesera (Bagesera) مع زيجابا Zigaba (Bazigaba) .

وتعيش هذه العشائر فى رواندا ، بوروندى فيما بين ١ — ٣° شمالا ، ٢٩ — ٣٠° شرقاً ويبلغ عددهم تسعة آلاف نسمة من بينهم ٢٥٠٠ نسمة ما زالوا يزالون نمط حياتهم التقليدى فى الجبال، بينما إستقر الباقون فى حياة مستقرة فى السهول المجاورة لبحيرة كيفو ولهم صناعة تجارية متميزة .

٤ — مبوتى Mbuti (Wambuti ؛ Bambuti) مع أكا Aka (Akka) وإيفى Efé (Eve) ، وتسكن هذه العشائر التى يبلغ عددها ٣٢ ألف نسمة فى غابة إيتورى Ituri (٠ — ٤° شمالا ، ٢٦ — ٣١° شرقاً) وهى تحمل أقل قدر ممكن من التأثيرات الزنجية فيزيقياً وثقافياً .

وتعتبر منطقة استانلي فيل بما فيها غابة إيتورى (خريطة رقم ٤) موطن الأقزام الشرقيين وهى التى يتميز أقزامها بمعدل مواليد متزايد أو ثابت بالنسبة لمعدل مواليد الزنوج من مواطنى المنطقة بل ويبدو أن من تتزايد معدلات المواليد عندهم منهم يكونون قد اختلطوا جينياً بالأقزام (١)، ولما كان زنوج الغابة قد اختلطوا وراثياً بزنوج حشائش السافانا فعليه فان جينات الأقزام تكون قد انتقلت إلى جماعات زنجية لم تحيا على الإطلاق فى موطن الأقزام (٢)، ولم تختلط بهم ولكن هذا لم يتم قبل أن يدخل الزنوج الغابة على الأرجح منذ ٢ — ٣ ألف سنة ، أما قبل ذلك فان كلا من الجينبول genenool الزنجى والقزمى كان منفصلا عن الآخر ، هذا وتعطى الفروق الواضحة بين الهياكل العظمية لقدامى الزنوج والهياكل العظمية للزنوج الحاليين فكرة عن مدى وجود أو غياب الجينات القزمية (٣).

---

(١) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 652

(٢) Loc. cit.

(٣) Ibid., p. 653

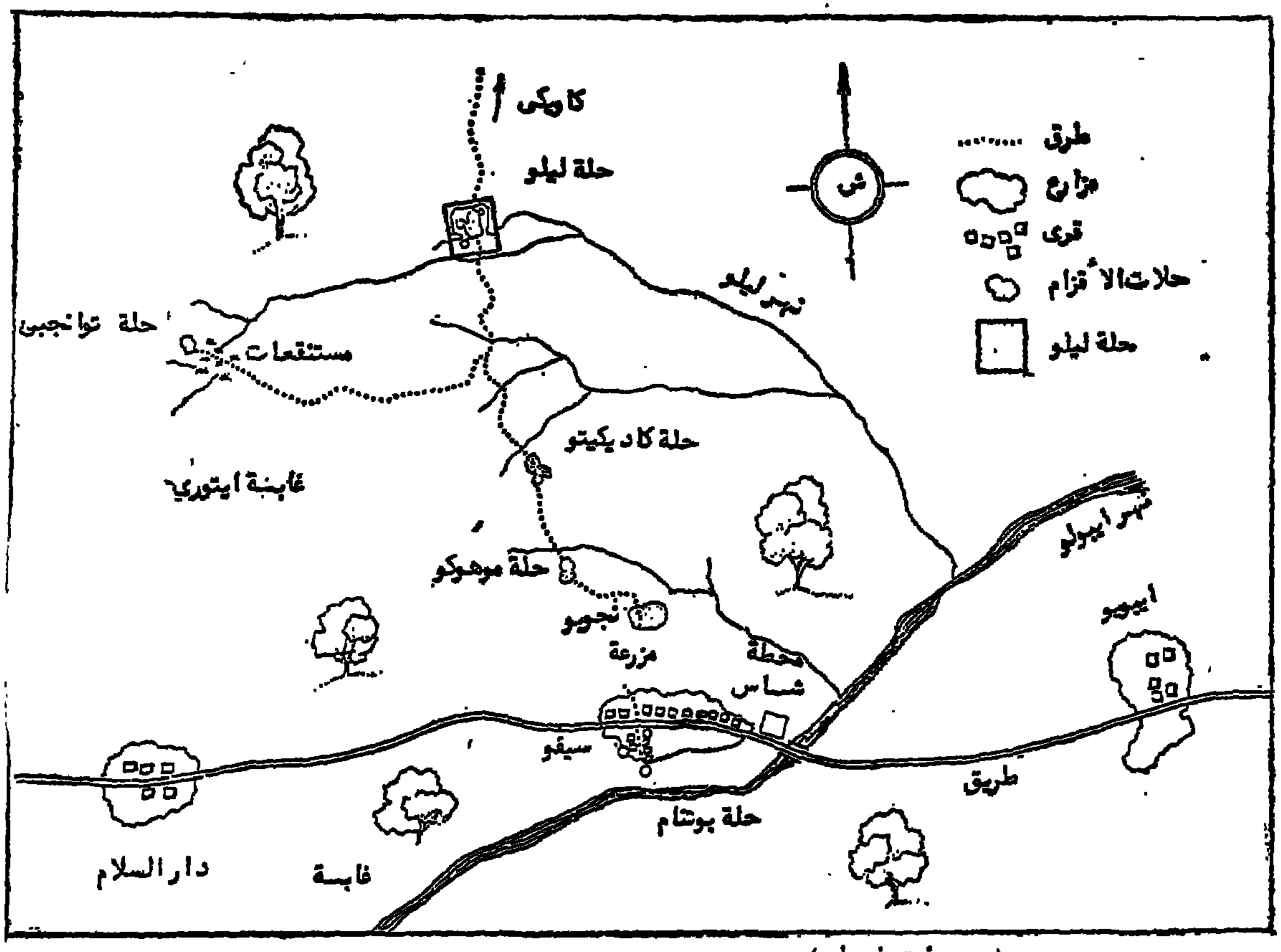

(من : ترنيول)

خريطة رقم ٤ ـ تفاصيل غابة ايتورى توضح حلات الاقزام والممرات والمزارع

ويطلق على كل أقزام غابة إيتورى بامبوتى Ba Mbuti (١)، وهى تنقسم إلى قسمين فرعيين Ka — ، Sua — (٢).

ويعتمد المبوتى دائماً أو جزئياً على مساعدة قبائل الزراع الذين يقيمون إلى جوارهم منذ عدة آلاف من السنين ، ويعتبر هذا التعاون نموذجاً للعلاقة والتعاون المتساوى والمتعادل ، حيث يتبادل المبوتى منتجات الغابة التى يجمعونها أو يصيدونها مع منتجات الزراع (٣).

وهناك قبيلة بانجوانا Ba Ngwana التى ينتشر أفرادها المسلمون خارج منطقة غابة إيتورى، وقد شاعت أهميتها نظراً لمعاملاتها التجارية الواسعة مما انتشرت معه لغتها Ki Ngwana وأصبحت لغة التخاطب فى المنطقة الوسطى من حوض الكنغو (٤).

وتتعايش جماعة الأقزام أبولو Epulu مع جماعة الزنوج القروية بابيرا BaBira (Ba — بادئة تعنى الجمع فى لفظ الزنوج) حيث أن القبيلة الزنجية تسمى Bira (*) ، أما القبيلة الزنجية القروية الرئيسية التى تعيش إلى الشرق وإلى الشمال الشرقى من منطقة إيبولو Epulu فتسمى باليس Balese (٥) ، ومن أهم العشائر أيضاً إيفوكا Abfoka ، أفورا كاAforaka، مانتو Mnatu (٦).

ويطلق لفظ بينجا Binga وهو تحريف أوربى لإسم مبينجا Mpenga

---

(١) Trunbull, Colin M. : op. cit., p. 284

(٢) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 120

(٣) Ibid, p. 114

(٤) Trumnbull, Colin M. : op. cit., p. 284

(*) اما البادئة Mu فتعنى المفرد، والبادئة Ki تعنى لغة (= موبيرا Mu Bira يتحدث كيبيرا Ki Bira) لغة
(Trunbull, Colin M. : The Forest People, p. 283)

(٥) Trunbull, Colin M. : The Forest People, p. 284

(٦) Seligman, C.S. : Races of Africa, p. 28

الذى أطلقه زراع الغابة على الصيادين والجماعين القاطنين منطقة الحدود فيما بين جمهورية أفريقيا الوسطى وزائير وكاميرون ، على جماعة يصل عددها ما بين ١٥ ــ ٣٠ ألف نسمة وتحمل صفات وسطى ما بين الزراع المجاورين لهم والذين يستقرون فى حماهم وبين المبوتى ، فقياسات الرأس فى نقطة متوسطة بين النموذجين المذكورين آنفاً ، بينما حجم الجسم قريب من أجسام المبوتى .

ويقطن بعض مناطق الغابات المطيرة الاستوائية بعض الجماعات القزمية التى تعتمد فى حياتها على الصيد والجمع ،وتتعاون مع القبائل المجاورة الزراعية البانتوية كما يستعملون لغاتهم وتتفاوت درجة إعتماد الصيادين من الأقزام على الزراع البانتويين من مكان إلى آخر ومن جماعة إلى أخرى، وكمثال لذلك توا Twa الذين يعيشون م نتومبا Ntomba ومع إيكوندا Ekonda الذين يعيشون إلى الشرق من بحيرة تومبا Tumba فى زائير(١).

ويفضل التو المعيشةفى الأحراش والغابات التى تنمو على منحدرات مرتفعات خط تقسيم المياه بين النيل والكنغو(٢) فى أقصى شمال شرق زائيروعلى براكين شمال رواندا،وهى غالباً ماتكون أوطانهم القديمة ، وغالباً ما يحرصون على عدم الاختلاط الثقافى بالقبائل المجاورة مثل توتسى Tutsi وهوتو Hutu خاصة فى عادات الغذاء (٣).

---

(١) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 120

(٢) Lac. cit.

(٣) Ibid, p. 121

(٤) Ibid, p. 125

بعض المظاهر الثقافية :

تساهم الثقافة بعناصرها المختلفة فى تكوين الحضارة؛ التى تتركز مهمتها الأساسية فى ضمان بقاء الجماعة التى تسود فيها واستمرار رفاهيتها(١).

ومن المشاكل الكبيرة التى تواجه الباحث عند دراسته موضوع أقزام أفريقيا موضوعى : اللغة ، والدين ، ذلك أنه نظراً لمعيشتهم المتفرقة فى جماعات متناثرة فان كل منها غالباً ما تتكلم اللغة التى تسود منطقتها، وهى فى الغالب ما تكون إحدى لغات زنوج البانتو أو غيرها لذا يصعب القول بوجود لغة واحدة كانت تسود وتجمع بينهم (٢) ، وبالمثل يقال أيضاً عن العقيدة الدينية، وإن كان هناك خلاف واضح بينهم، وهو أنهم لا يمجدون الأسلاف ويعبدونهم بل ترتبط عبادتهم أساساً بالقوى السماوية، والبعض منهم يراها متصلة بخالق الكون ، لذا يطلقون عليه أحياناً رب العواصف والبرق والرعد والمطر، وإن كانت بعض القبائل تطلق عليه إسماً خاصاً مثل تورى الذى تطلقه جماعة إيفى Efé (٣) .

وكان الأقزام الأفريقيون فيما مضى يتحدثون لغة خاصة بهم، أما اليوم فتتحدث كل مجموعة لغة ولهجة القبيلة الزنجية التى تحيى فى كنفها سواء أكانت من المتحدثة بالبانتوية أو النيجرية الشرقية Eastern Nigritic أوالسودانية الوسطى Central Sudanic (٤). وبعامة تصنف لغات الأقزام مع المجموعة اللغوية التى أسماها جرينبرج (١٩٦٦)(٥) : بينو– كنجو Bénue-Congo (*) واعتبرها إحدي تفريعات المجموعة الكنجو – كردفانية Congo-NKordofanian هذا بينما ينفى سليجمان Seligman, C. G. أى معرفة عن لغة الأقزام(٦) ،

---

(١) Linton, Raph : Tree of Culture, p. 36

(٢) محمد عوض محمد : الشعوب والسلا لا ت الإفريقية ، ص ٤٤

(٣) نفس المكان .

(٤) Murdoch, G. P : or. cit., p. 49

(٥) Greenberg, J.H.: The Languages of Africa. 3nd. ed. The Hague, Mouton & Co., 1966, p. 8.

(*) وقد رمز لها بالحرف I.A.5

(٦) Seligman, C.S. : Races of Africa, p. 8

أما ميليت Meillet, A وكوهين Cohen, M. (١٩٥٢) فيقولا أنهم رغم يتحدثون بلغات زنجية أفريقية (١) وإن كانت فى إجمالها مجهولة المعرفة التفصيلية (٢)، أنها تعتمد على لغات جيرانهم زنوج البانتو التى تتميز لغاتهم بالإضافات الشائعة فيها خاصة البادئات Prifixes (مثل Ba Bira)(٣).

وقد إتخذ المبوتى لغات القبائل الحامية (من الحماية) لها (البيرا Bira فى الجنوب ، ليسى Lese فى الشرق ، مانجبتو Mangbetu والزاندى Zande فى الشمال الغربى ، والمامفو — مانجوتو Mamvu - Mangutu فى الشمال) وتتعدد أنواع اللغات حيث أن لغة البيرا بانتوية ، ولغات مانجبتو ، ليسى ، مامفو— مانجوتو من اللغات السودية الشرقية ، أما الزاندى فمن لغات أداماوا Adamawa الشرقية . وعلى كل فان كل المبوتى فى غابة إيتورى يتكلمون بترتيل intonation (٤) متماثل أو بنفس اللهجة (النغمة الصوتية Signsang intonation) (٥) ، وربما يعطى هذا فكرة عن وحدة اللهجة عند كل أفراد العشيرة القزمية الواحدة رغم تباين جيران كل عشيرة منها عن الزنوج الذين يتحدثون لغتهم ، وفيما يلى بعض الكلمات ونطقها عند المبوتى (٦) :

Masali	(	a	تنطق مثلما فى father)
ke'nge	(	e	تنطق مثلما فى make)
Masi'si	(	i	تنطق مثلما فى feet)
Nzo'bo	(	o	تنطق مثلما فى aboe)
Au'sa	(	u	تنطق مثلما فى moon)

---

(١) Meillet, A. & Cohen Marcel (ed.) : Les Langues du Monde. Paris, Centre National de la Recherche Scientifique, 1952, p. 906

(٢) Ibid, p. 907

(٣) Trunbull, Colin M. : op. cit., p. 284

(٤) Hiernaux, Jean ; The People of Africa, p. 115

(٥) Turnbull; Golin M. : op. cit, p. 281

(٦) Ibid, p. 282

هذا وتعتبر مجموعة إيفى ومبوتى أقدم المجموعات من حيث تركيب اللغات إلا أنه قد دخلها الكثير من ألفاظ لغات القبائل المحيطة بها (١).

أما عن المعتقدات الدينية ، فقد اختلف فى فهمها عندهم، حتى قيل أنهم مجردون من كل شعور دينى — فلا يؤمنون بإله ولا يعتقدون بشىء من الأرواح (٢) ، ولكن فى حقيقة الأمر نجد أنه نظراً لاعتماد المبوتى الكامل على الغابة فان الغريب يعتبرها تحمل مفهوم الإله عندهم (٣)، وهم فى هذا يختلفون كثيراً عن كثيرين من الجماعات الأفريقية التى تعتمد أساساً على خيرات البيئة الطبيعية (٤).

هذا وتنتشر ظاهرة الطوطمية (*) ، وتصل علاقة الفرد بالطوطم الحيوانى للعشيرة إلى مستوى العقيدة ، لدرجة أنه يصل الاعتقاد إلى أن كثير من الطواطم هم أسلافهم ، كما يعتقدون أنه بعد الموت سوف يتحلل ويتحول metamorphosed أما كلية أو جزئياً فى طوطهم الحيوانى ، وقد لاحظ سايجمان نفس هذه المفاهيم فى الحلات Camps الخمس التى زارها (٥).

وطوطم عشيرة إيفوكا Abfoka طائر Butiu ، أما طوطم عشيرة أفواركا Aforaka فهو الشمبانزى ، ولعشيرة مانتو Mantu طوطمان سوليو

---

(١) Cole, Sonia : Races of Man. 2nd ed. London, British Museum (Natural History), 1965, p. 121.

(٢) جورجى زيدان : عجائب المخلوقات ؛ البغمة Pygmies فى : كتاب الهلال جـ ٧ ، ص ١٤ ، أبريل ١٩٠٦ ، ص ٤١١ — ٤١٥ (ص ٤١٤) .

(٣) Mair, Lucy : African Societies. London, Cambridge Univ. Press, 1974, p. 23

(٤) Loc. Cit.

(*) وهى تنسب إلى الطوطم؛ الذى قد يكون من أصل حيوانى أو نباتى أو معدنى، وهو الذى تتخذه القبيلة أو العشيرة رمزاً لها يميزها دون القبائل الأخرى ، ويقسم أفرادها به لاعتقادهم أنه جدهم المقدس وحاميهم أو مرتبط برباط دينى مقدس مع جدهم ، وهم يرتبطون بالطوطم إرتباطاً قوياً حيث يؤلفون معه وحدة إجتماعية واحدة، وقد أطلق جون لونج Long, J. هذا اللفظ لأول مرة عام ١٧٩١ نقلا من لغات بعض قبائل الهنود الحمر فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث كان يستعمل للدلالة على الأصل المقدس عندهم .

(٥) Seligman, C.G. Races of Africa, p. 28

Solio وهو حيوان مائى ونبات ساسو Sasu . وتعتبر كلا من النمر والأسد والشمبانزى أكثر الطواطم شيوعاً ، وعلى جميع أفراد العشيرة إظهار الاحترام والتقديس للطوطم الذى لا يقتل ولا يؤذى لأى سبب وهو طبعاً لا يؤكل . والفرد من الأقزام لا يجرؤ أن يشرب أو يأكل من وعاء لعق فيه الطوطم (١).

ويعيش البيرا Bira (الزراع) فى خوف دائم من الغابة فلم يستطيعوا النجاح فى تطويع بيئتهم خدمة لإنتاجهم الزراعى فسرعان ما تنمو أشجار الغابة وتحول دون ازدهار الزراعة التى لا تتعدى بأى حال ثلاث مواسم زراعية فقط نظراً لفقر التربة . ويعتمد البيرا على المبوتى فى دخول الغابة والحصول منهم على منتجاتها ، لذلك فالبيرا يسترضون المبوتى والأرواح الشريرة (٢)باستمرار خوفاً على أنفسهم .

ذلك ومن الدراسات الثقافية الأخرى التى أجريت لتوضيح الصلة بين الأقزام الأفريقيون وبين البوشمن الدراسات الموسيقية التى أوضحت تشابه بعض أنماطها مما دل على وجود صلة تاريخية قديمة بينهما (٣) (*) .

الحياة الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية :

تعتبر بيئة الأقزام الأفريقيون (الغابات المدارية المطيرة) فى الكنغو إحدى البيئات الخمس (**) فى العالم التى يعتمد بعض سكانها على الصيد والجمع كمصدر

---

(١) Schebesta, Paul : Revisiting my Pygmg. 1939, p. 141

(٢) Turnbul, Colin M. : Man in Africa ; From Cairo to the Cap of Good Hope. New York, Achor Press, 1967, p. 123

(٣) Frisbie, Charlotte J. : "Anthropological and Ethnomusicological implicatians of a comparative analysis of Bushmen and African Pygmy music. "*In* : Ethnology. Vol. 10, No. 3, 1971, p. 265 – 290

(*) هذا وقد اهتمت منظمة اليونسكو بالموسيقى الإفريقية فسجلت الكثير من المقطوعات وأجرت عليها دراسات شتى كان منها موسيقى أقزام أكا (تسجيل رقم 018 6586) (رسالة اليونسكو)، القاهرة ، ع ١٩٢ يوليو ١٩٧٧ ، ص ٢٧) .

(**) هذه البيئات هى : البيئة شبه القطبية ، البيئة الجافة فى جنوب إفريقيا ، بيئات غابية كثيفة متناثرة فى جنوب آسيا والجزر المجاورة الممتدة من الهند حتى الفلبين ، معظم القارة الاسترالية ، غابات حوض الكنغو المطيرة . (Linton, Ralph : Tree of Culture, p. 153)

رئيسى للغذاء وكحرفة أساسية للحياة . فالأقزام الأفريقيون لا يزالون الزراعة (١) ولا يميلون إليها (٢)، وقد إتضح ذلك من الدراسة التى أجريت على جماعة المبوتى الذين يحترفون الزراعة (٣).

ويصنف الأقزام بالنسبة للثقافة المادية(**) والتكنولوجية (*) فى المجتمعات شديدة البساطة وهى تلك التى لا تتجاوز مستوى الكفاف رغم غنى بيئتها بالحياة النباتية والحيوانية التى يمكن أن تستخدم مباشرة فى الغذاء ، وما ذلك إلا بسبب ضعف مستوى استغلال البيئة لإنخفاض المستوى الثقافى العام خاصة المستوى التكنولوجى بما فيه من الافتقار إلى وسائل النقل فيما عدا قدرة الحمل البشرى ، ويدخل مع أقزام غابات الكنغو فى هذا التصنيف الهنود الحمر القاطنون فى صحراء نيفادا فى جنوب شرق كاليفورنيا وكذلك الاسكيمو فى شمال أمريكا الشمالية (٤).

الحرف الاقتصادية :

تعيش جماعات الأقزام فى وسط حوض الكنغو على القنص ،إما لهم خاصة أو للقبائل الزنجية البانتوية التى قد يحيون فى كنفها ، وذلك فى سبيل ما يحصلون عليه منهم من أدوات حديدية ومواد غذائية مثل الخضروات والذرة والكاسافا والموز(٥).

وقد درس كولين تورنبول Colin Turnbull المبوتى Mbuti دراسة دقيقة انتهى بها إلى إمكان تقسيمهم من الوجهة الاقتصادية إلى قسمين (٦):—

---

(١) Putnam, Patrick : "The Pygmies of the Ituri Forest" *IN :* Coon, C.S. (ed): A Reader in General Anthropology. New York, Herry Holt Co., 1948, p. 324.

(٢) Keane, A. H.:Man Past and Present, p. 125

(٣) Hiernaux, J. : The People of Africa, p. 114

(**) وتعنى بها مجموعة المصنوعات المادية كالأدوات بأنواعها المختلفة والسلع كاملة الصنع .

(*) ويقصد بها مجموع الأساليب الفنية والسلوكية بأنواعها المختلفة .

(٤) Beals, Ralph L. & Hoijer, Harry : Op. cit. p. 158

(٥) هاولز وليم : ما وراء التاريخ ترجمة أحمد أبو زيد . القاهرة ، دار النهضة مصر ، ١٩٦٥ ، ص ٢٩١

(٦) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 113

١ ــ الصيادون الخلص : ويعيشون فى معسكرات كبيرة تتكون من جماعات من ٧ ــ ٣٠ أسرة تتعاون وتشترك فى أعمال الصيد التى تتم غالباً بالشباك .

٢ ــ مطلقو السهام archers : ويعيشون فى جماعات صغيرة ويزاولون الصيد فرادى باستعمال القوس والسهم .

هذا وقد استقر بعض الأفراد من كلا القسمين مزاولين وظيفة الخدمات بين الجماعات الزنجية التى يعيشون إلى جوارها ،وتعتبر الأيام الممطرة غير مناسبة لأعمال الصيد(١) الذى يزاوله الأقزام ، هذا ويتركز عمل الرجال فى نصب الشباك والانتظار بعيداً ممسكين بالحراب أما الشباب فيقفون إلى الخلف فى نقطة أبعد ليطلقوا السهام على الفريسة التى تهرب من الشباك ، كما يقدم الأطفال والنسوة بمطاردة الحيوانات فى اتجاه الشباك(٢) ويعتبر نمط الصيد الذى يزاوله هولاء الأقزام نمطاً بدائياً للغاية قريباً من ذلك الذى كان سائداً بين أفراد النوع البشرى منتصب القامة Homo Erectus (٣) .

ومن الحيوانات التى تصاد بالشباك حيوان يطلق عليه سينديولا Sindula وهو فى حجم الكلب الصغير وإن كان أكثر خطورة(٤)، وبعد انتهاء عملية الصيد وأثناء رحلة العودة يقومون بعملية الجمع والالتقاط (٥)،ويصيد الرجال خاصة الشباب منهم سائر حيوانات الغابة الكبيرة منها والصغيرة على السواء ، فن: النسانيس Mokneys ، والقردة Apes إلى الخنازير pigs ، والبقر الوحشى antelopes(٦) بل وحتى فرس النهر والفيلة(٧) (لوحة رقم ٦) ومن حيوان الصيد أيضاً الأوكابى

---

(١) Turnbull, Colin M. : op. cit., p. 115

(٢) Ibid, p. 119

(٣) Hoebel, E. Adamson : Anthropology ; The Study of Man. 4th. ed. New York, Mec Grow-Hill Book Co., 1972, p. 146

(٤) Schwartz, Borton M.& Ewale, Robert H.: Culture and Society; an introduction to cultural anthropolgy. New York. Ronald Press co., 1968, p. 313

(٥) Turnbull, Coloin M. : op. cit., p. 119

(٦) Hiernaux, Jean : The Peop Le of Africa, p. 113

(٧) Murdock, p. G. : Africa, p. 49–50

(من : ترنبول)

لوحة رقم ٦ ــ خروج جماعة الصيد حاملة الشباك والاقواس والسهام

Okapi وهو حيوان يشبه الزراف ، ولكن عنقه صغير ويعيش فى الغابة(١) ، ومنه أخذ الأقزام أسمهم الأول الذى أطلقه عليهم سير هارى جونستون (١٩٠٢) كما سبقت الإشارة . ويصيد الأقزام أيضاً ظبي الغابة يسمى لندو Lendu(٢) ويقرب حجمه من الكلب الضخم وله قرون ناتئة حادة أما أصغر أظباء الغابة فيطلقون عليه مبولوكو Mobloko ويقرب حجمه من الفأر(٣) ، هذا ولا يحتفظ المبوتى بأى حيوان أليف عدا الكلب الذى يستخدمونه فى أعمال الصيد(٤) .

(١) Turnbull, Colin M. : op. cit ., p. 287

(٢) Ibid, p. 285

(٣) Ibid, p. 286

(٤) Hirnaux, J. : The People of Africa, p. 114

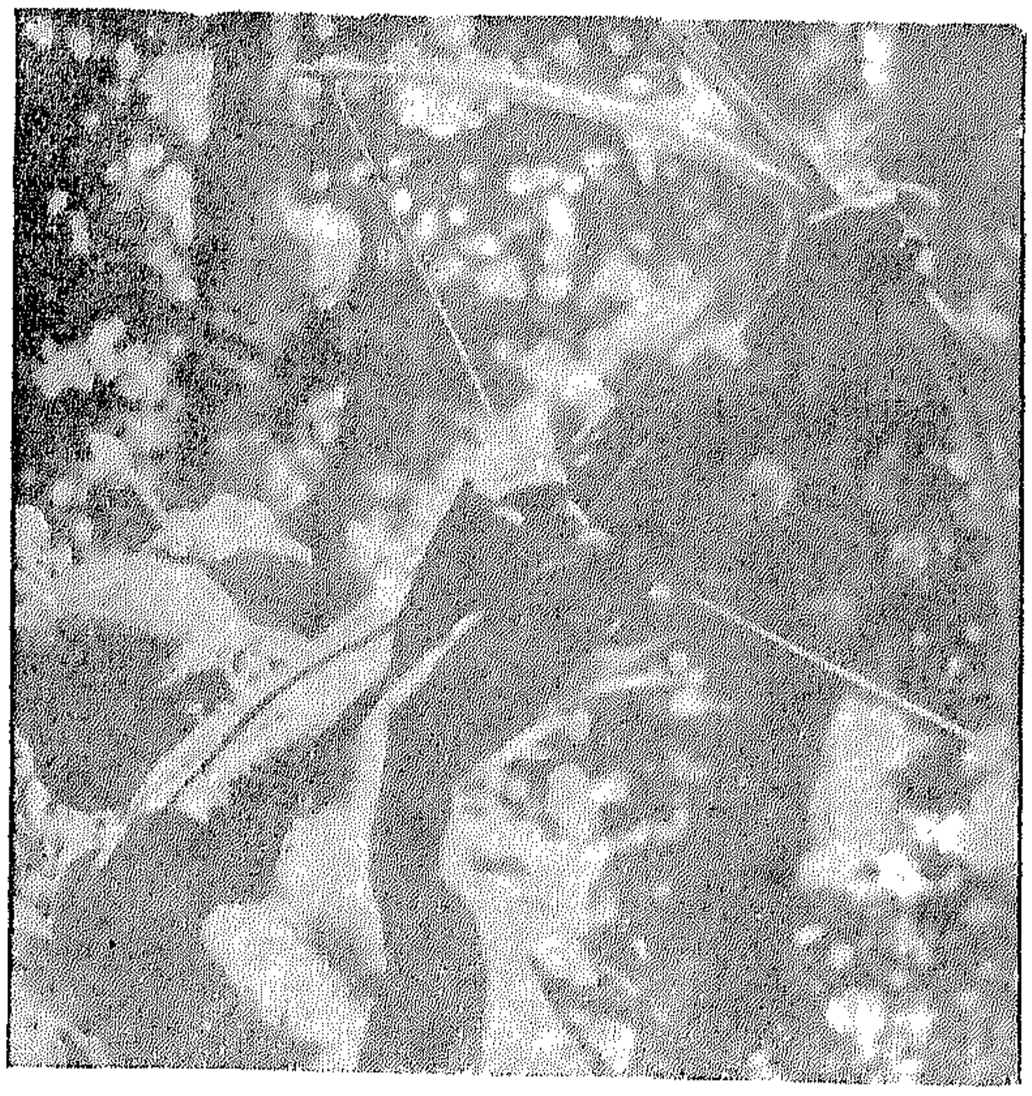

(من : لنتون)

لوحة رقم ٧ ـ صيد الطيور والنسانيس ، الراس الخشبى للسهم مسمم

ويستعمل الأقزام غالباً فى صيدهم حيوان الغابة السهام السامة(١) . ويستعمل فى إطلاق السهام المسمومة نوعان من الأقواس : الأقواس البسيط Self bows التى تصنع من قطعة واحدة من الخشب اللين ، والأقواس المركبة composite bows(٢)،وهى التى تلصق فيها عدة قطع وأنواع من الأخشاب أو المواد المرنة كى يكون شكل القوس فى النهاية (شكل رقم ٣) ، ويستعمل الأقزام فى الصيد القوس والسهام المسمومة (لوحة رقم ٧)،وهم مهرة فى استعمالها لدرجة القدرة على صيد الحيوانات الكبيرة(٣) . وقد وصف استور شانلر W. Astor Chanler الأسلحة التى كان يستعملها أفراد من واندوروبو Wandorobbe عندما زارهم فى مناطقهم فى كينيا عام ١٨٩٦ بأنها كانت مكونة من الرماح المصنوعة من سن الفيل وكانوا يطلقون عليها « بوناتى bonati » ، وكان يبلغ طول الرمح الواحد ستة أقدام وكان سميكاً فى طرفيه ورفيعاً فى المنطقة

---

(١) Keane, A. H. : Man Past and Present, p. 124, Linton, Ralrph : Three of Culture , p. 83

(٢) Linton, Ralph : Tree of Culture, p. 80

(٣) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الإفريقية ، ص ٤٣

التى تمسك اليد به ، وفى أحد الطرفين يوجد ثقب مثبت به ما يشبه السهم بطول قدمين ويسمك الإبهام وله رأس بعرض بوصتين .

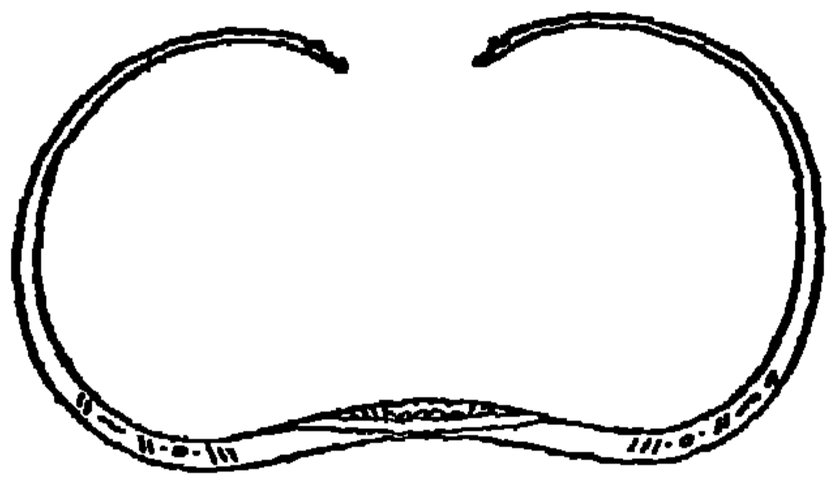

(أ) من الخشب وقرن الحيوان

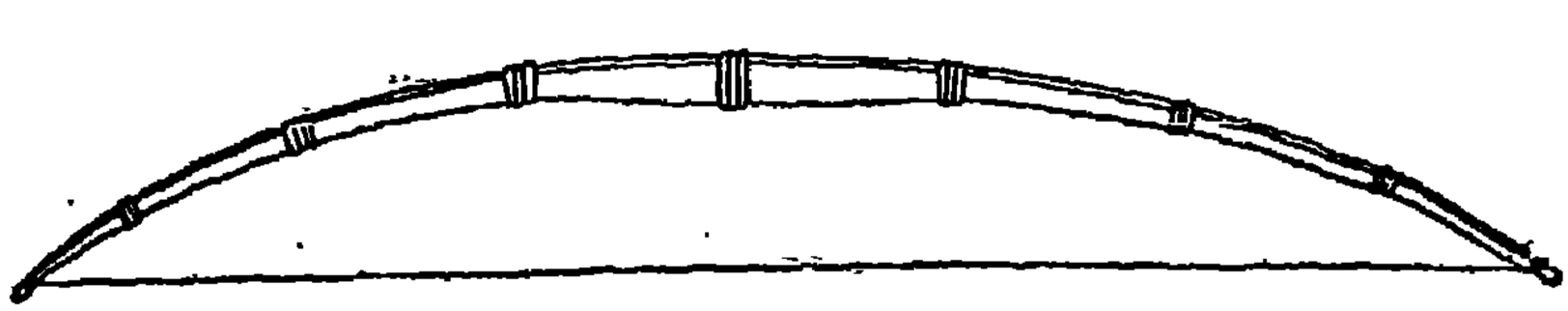

(ب) من الخشب والجلد الخام

(من : لنتون)

شكل رقم ٣ ـ نمطين من الاقواس المركبة

وكانت أساليب صيد الفيلة هى الزحف أسفل الحيوان، وغرز رمح أو أكثر فى منطقة أعضائه التناسلية، ولما كانت الرماح مسمومة فانها تعمل على تخدير الحيوان أولا ثم موته فى النهاية .

ويستعمل الأقزام فى منطقة ابولو Epulu(١) الشباك فى الصيد وهم يتصاون فى حياتهم مع ثلاث قبائل زنجية هى :

(١) Keane, A. H. : op. Cit. p. 124

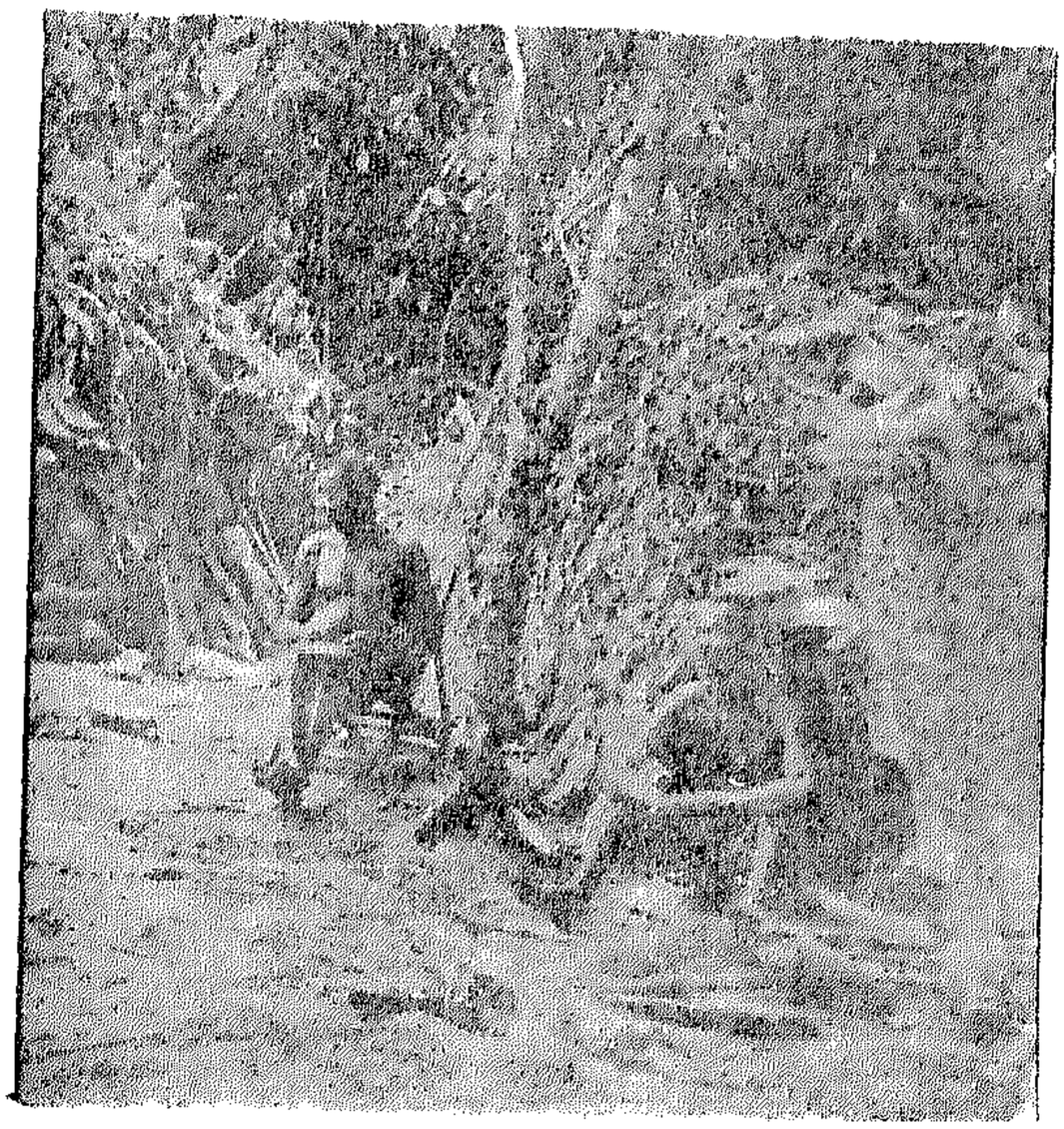

(من : ترنبول)

لوحة رقم ٨ ــ كوخ فى رحلة سيفو

بابيرا Bapira ، وبانجوانا Ba Ngwona ، وباندا كا Banadka وقد تم أخيراً الاتصال البسيط مع قبيلة باليس Balese(١).

ويطلق الأقزام على الشجرة التى يأخذوا منها عمودى شد شباك الصيد اسم نكوسا Nkusa(٢) .

ويعيش المبوتى فى جماعات شبه رعوية تعتمد على الجمع والصيد(٣) . وتجمع النساء الفاكهة البرية والجذور والحشرات والبرقات والعسل البرى (لوحة رقم ٨) والجلود والأصواف(٤) ، كما يقمن بصيد الأسماك وجمع المحار(٥)، والملاحظ أن حرفة الجمع بسيطة لا تتطلب تنظيم جماعات ، إذ يمكن لإثنين أو ثلاثة الخروج

(١) Turnbull, Colin M. : "Initiation among the Bambuti Pygmies of the Central Ituri. "*In* : Ottenberg, Simon and Phoebe (*ed*) : Cultures and Societies of Africa. New York, Rondom House, 1960, p. 422

(٢) Turnbull, Colin M. : The Forest people' p. 286

(٣) Hiernaux, : The People of Africa, p. 113

(٤) Ibid, p 114.

(٥) Murdock, P.G. : Africa, p. 49–50

للجمع لكل العشيرة، فالملاحظ بالنسبة للعسل البرى مثلا أن كل ما ينظم هذا العمل هو قصر موسم الجمع(٦). وبدون شك فان حضارة الصيد وجمع الغذاء تمثل مرحلة بدائية أولية فهى قد سبقت إنتاج الغذاء فى كل مكان فى العالم(٥) ،وهذا بدوره يحدد المستوى الحضارى التى يحيا فيه هذا الشعب .

(من : ترنبول)
لوحة رقم ٩ ــ فحص قطعة من خلية نحل برى ، للتأكد من وجود العسل الطبيعى ــ الذى يعتبر أثمن غذاء الغابة ــ بها

ويتبادل الأقزام مع مجتمعات الزنوج المجاورة السلع والأدوات التى لا يستطيعون صنعها ، بينما يقدمون إلى الزنوج اللحوم وجلود الحيوانات وثمار الغابة(١) وسائر السلع الخام التى يمكن لهم الحصول عليها عن طريق الجمع والصيد . وغالباً ما تتم عمليات المقايضة هذه بين كل من الأقزام والزنوج عن طريق المقايضة الصامتة التى لها تقاليد خاصة أساسها الثقة والكرم(٢) ، كما يقدم الأقزام من الجنسين الكثير من الخدمات للزنوج (لوحة رقم ٩) .

---

(٦) Mair, Lucy : African Societies, p. 16
(٥) Linton, Ralrh : Tree of Culture, p. 53
(١) Beales, Ralrh C. Hoijer, Herry : op. cit. p. 333
(٢) Loc. Cot.

وهناك جماعات قليلة من التوا Twa تعيش خارج الغابة كمجتمع مستقل يستقر فى كنف مملكة كوبا Kuba ، ويعيش فى منطقة خاصة به إلى الجنوب من سانكورو Sankuru ولكنهم اضطروا أخيراً أمام الضغط البلجيكى إلى الاستقرار

(من : ترنبول)

لوحة رقم ٩ ــ امراة من الاقزام تساعد احد
الزنوج فى دق بعض الأرز

فى منطقة مكشوفة على الطريق حيث يزاولون بعض الزراعة البدائية والفقيرة(١) ، ونظراً لقلة البروتين فى غذائهم نجد أن نسبة كبيرة من أطفالهم يعانون من مرض الكوشيركو Kwashiorkor كما سبقت الإشارة ، وهو ذلك المرض الذى إن لم يسبب الوفاة سبب تخلف جسمانى وعقلى كبير(٢) .

---

(١) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 120

(٢) Hiernaux, J : "Etat de nutrition des Kuba (Kasoi) *In* : Zaire, Vol. 8, 1954, p. 719 – 727

وكان الأقزام يقومون بدور المرشدين والكشافة للزنوج الذين يعيشون فى كنفهم(١) ،ويبدو أن ذلك جاء من معرفتهم الدقيقة لدروب الغابة ومسالكها التى خبروها نتيجة تجوالهم االدائم إلى أعلى قليلا المستمر بحثاً عن الجمع والصيد،وساعدهم فى ذلك صغر وضآلة أحجام أجسامهم مما مكنهم من الحركة المرنة السهلة بين فروع وأغصان أشجار الغابة الاستوائية الكثيفة(٢) .

وكان نتيجة إعتماد الأقزام الكامل على جيرانهم أن حرموا من أن تكون لهم ثقافة خاصة بهم ، فمن الأمور التى ما زالت محل بحث موضوع صناعة الأقزام للأدوات الميسوليتية فلم يستدل على صناعتهم لها حتى الآن فهل عرفوها ؟ أم لم يتوصلوا إليها ؟ إستناداً على ما يحتاجون إليه من سادتهم الزنوج الذين كانوا يعملون فى تحذيرهم من غارات الأعداء ، وعندما إنتهت أو قلت الحروب والمنازعات القبلية قلت أهمية الأقزام للزنوج ؛ لذا فقد قلت رغبة السادة الزنوج فى إمداد الأقزام بالطعام والأدوات اللازمة لهم(٣) .

هذا وقد حاولت الإدارة البلجيكية إدخال الأقزام فى خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية بأن يقوموا ببعض الأعمال الزراعية فى مزارع خاصة للبساتين،وهناك بعض الأفراد منهم يقومون فعلا بهذا العمل ويعتبرون نموذج للدراسة(٤) .

النظم والعلاقات الاجتماعية :

إهتم الانثروبولوجيون بدراسة العلاقات الإجتماعية الجديدة التى تظهر نتيجة تغير أنماط الحياة الإقتصادية وتغير أساليب الانفاق العام فى المجتمع ،مما يكون له أثر على تفكير وسلوك وتصرفات الأفراد ، وكان من نتيجة ذلك ظهور مصطلحات جديدة مثل الاتصال أو الاحتكاك الثقافى Cultural Contact والتغير الثقافى أو اكتساب الثقافات acculturation (٥)، وما يتصل بها من تغير إجتماعى

---

(١) Loc. cit.

(٢) Linton, Ralph : Tree of culture, p. 395

(٣) Ibid, p. 162

(٤) Hoebel, E. Abdamson ; Anthropology p. 656.

(٥) أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى ؛ مدخل لدراسة المجتمع ، ج ١ المفهومات . ط ٣ . الاسكندرية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٢٥٢

Social change (١)، ذلك التغير الذى كان أحد مجالات إهتمام الإجتماعيين قبل الانثروبولوجيين(٢) ، الذين تغير نطاق إهتمام غالبية المحدثين العظمى منهم من التشيع لفكرة التطور والتقدم الثقافى خلال مراحل مرسومة إلى الإهتمام بمعرفة العمليات الإجتماعية وديناميات التغير الإجتماعى والثقافى التى تنطوى عليها عمليات الاحتكاك الثقافى واكتساب الثقافات(٣) . والملاحظ أن أهمية دراسة ثقافة المجتمع من الوجهة الإجتماعيةتتركز فى كونهاتعتبر تعبيراً عن أنماط العلاقات الإجتماعية المستمرة المقننة(٤).

ولقد شهد مجتمع الأقزام الأفارقة الكثير من عمليات التغير الأجتماعى والثقافى نتيجة التغير الذى طرأ ويطرأ على أنماط الحياة الإقتصادية ، فقد فرضت حرفة الجمع والصيد على الأقزام أن يلعيشوا فى جماعاتٍ صغيرة متباعدة منعزلة داخل الغابة(٥) .

يعيش الأقزام الأفريقيون فى جماعات من الرحل(*) nomadic صغيرة يتفاوت عددها فيما بين ٢٠ — ١٠٠ فرد متحركين طلباً للجمع والصيد . وتقوم المرأة فى كل تجمع (معسكر) على نشر الصيد فى حلقات كبيرة على أرض متسعة(٦) . وتتكون الحلات (المعسكرات) من عدة أكواخ قليلة، كتلكالتى رآها جونكر Junker يحيا فيها خمسين فرداً من الأكا Akka (٧).

---

(١) نفس المصدر ، ص ٢٥٦

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٥٠

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٢٠

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٠٨ — ٣٠٩

(٥) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الإفريقية ، ص ٤٣

(*) يطلق لفظ الرحل عادة على غير المستقرين فى إقامتهم ودائمى التحرك من مكان إلى مكان (عن : مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط . ج ١ . القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٦٠ ، ص ٣٣٤) بينما يعنى لفظ بدو أهل البادية وهى فضاء واسع فيه المرعى والماء (المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٤٤) وعند محى الدين صابر : « عوامل التغير الحضارى فى نمط الحياة البدوية » فى : البدو والبداوة ؛ مفاهيم ومناهج . سرس اللبان ، مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى ، ١٩٦٦ ، ص ٦ ، أن : « البداوة هى معيشة الإنسان متطفلا على مائدة الطبيعة جامعاً رزقه الكثير أحياناً قليلة ، والقليل أحياناً كثيرة .

(٦) Murdock, G.P. : Africa, Its Peoples and Their Culture History, p. 50

(٧) Seligman, C.G. : Races of Africa, p. 27

ويعيش المبوتى فى الغابة فى جماعات صيد منعزلة منفصلة(١)، وما ذلك إلا نتيجة الظروف الاكلوجية التى عملت على أن يحيون متجولين سعياً وراء الجمع والقنص(٢) الذى يجدونه فى « ندورا Ndura = الغابة(٣) » ، والذى يتكون غذاءهم الأساسى من نباتها(٤) ، فهم إلى حد كبير نباتيون . ومن المأكولات الشائعة جذور سكرية تسمى « إيتابا Itaba » توجد فى أرض الغابة وتعتبر طعاماً شهياً للأقزام(٥) ، كما يسمى الشراب المحمر الذى يصنعه الأقزام فى الغابة « ليكو Liko » ويصنع من الأعشاب وحبوب الكولا (٦). أما اللحم فلا يؤكل إلا مطهواً فقط (٧) . ومن ألذ الأطعمة لحم : « سنديولا Sindula »(٨) وهو حيوان من نوع الظباء ، ومثله « سوندو Sondu وإن كان أكبر حجماً(٩) .

ويطلق المبوتى على معسكرهم لفظ « آبا Apa » ، فهناك : آبا توانجب Apa Toangbe ، وآبا كاد يكتو Apa Kediketu ، وآبا موهوكو Apa muhoko ، وآبا لياو Ape Lelo وتلك هى التى تكون معسكراتهم فى غابة إيتورى، ومنها يتضح أنهم يتركزون فى شرق المقاطعة الشرقية من زائير ، على مسار الطريق الممتد من استانلى فيل Stanleyville على نهر الكنغو إلى بونيا Bunia بالقرب من الساحل الغربى للمجرى الأعلى لنهر ليلو (خريطة رقم ٥) الذى يمثل الرافد الرئيسى لنهر أبولو Epulu ، وهو الذى يعد بدوره رافداً هاماً لنهر أرووىى Aruwimi من روافد نهر الكنغو الكبرى .

وتبنى المساكن التقليدية على شكل نصف دائرة من إطار من الأغصان اللينة المرنة مغروزة فى الأرض على شكل دائرة أو قطع ناقص ellipse ، وتربط من أعلى ، ثم تغطى بأوراق الشجر (لوحة رقم ١٠)، وكثيراً ما يوجد مصد صغير

---

(١) Turnbull, Colin M. : The Forest People, p. 14

(٢) هاولز ، وليم : ما و راء التاريخ ؛ ترجمة أحمد أبو زيد ، ص ٢٩١

(٤) Ibid, p. 13

(٥) Ibid, p. 285

(٦) Loc. cit.

(٧) Keane, A. H. : Man Past and Present, p. 125

(٨) Turnbull, Colir M. ; op. cit. p. 287

(٩) op. cit.

للرياح مكون من أوراق الأشجار(١) ولا يزيد إرتفاع المسكن عن خمسة أقدام(٢) ، وتحيا كل أسرة فى مسكن مستقل بها(٣) . كما تعيش الأسر ذات القرابة فى أكواخ متجاورة ومتقاربة رغم أن الأسرة الممتدة (العائلة) نادرة الوجود(٤) .

وتصنع سقوف البيوت من لحاء الشجر (لوحة رقم ١١) ومن بعض أجزائه الداخلية التى تصل أطوالها إلى قرابة قدمين ، ويطلقون عليها إسم «مونجونجو Mongongo» وهى تستعمل فى بيوت الأقزام والزراع (الزنوج) على حد سواء ، وهى توضع على شكل طبقتين(٥) .

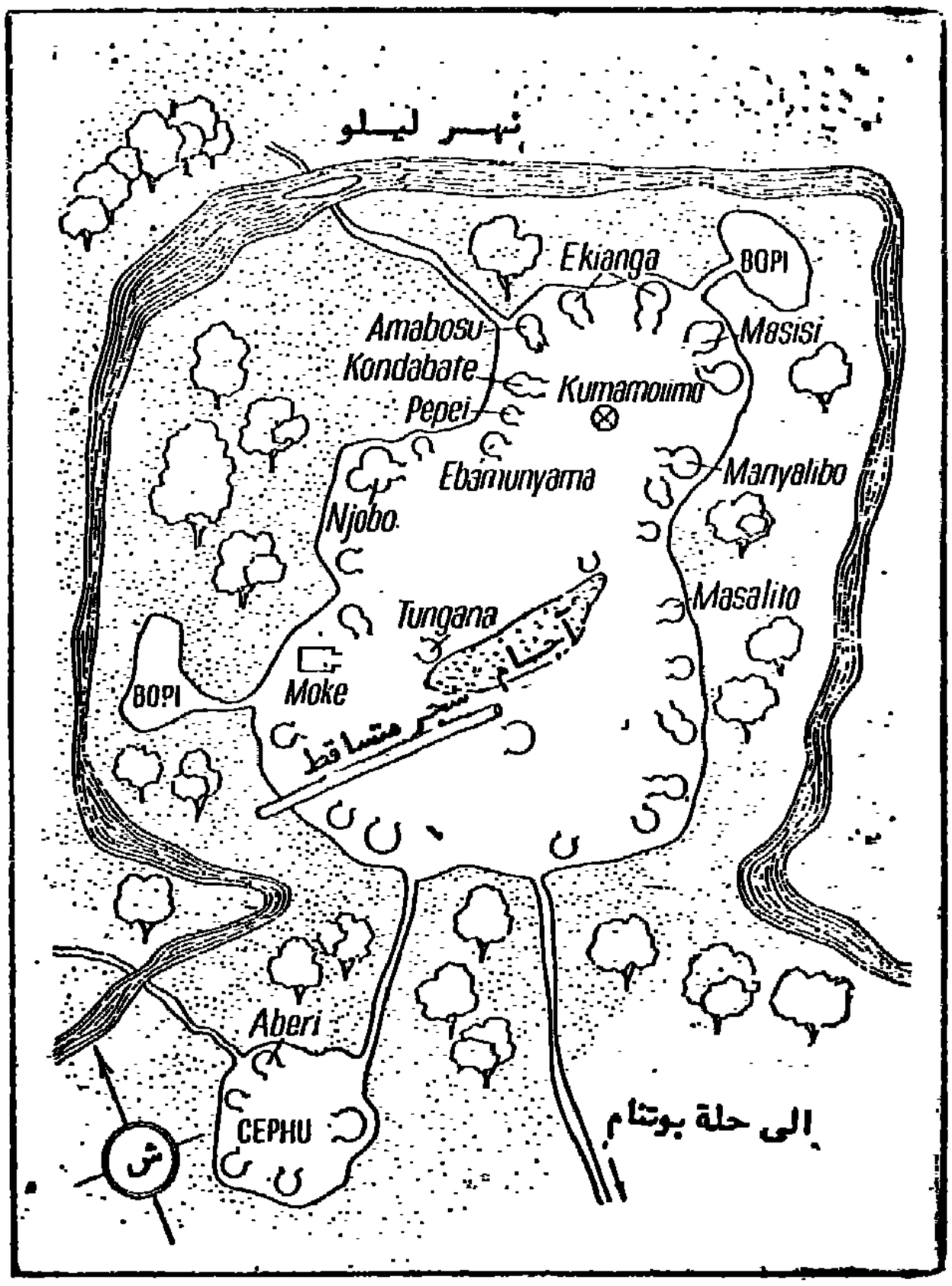

خريطة رقم ٥ ــ حلة ليلو (من : ترنبول)

(١) Murdock, G. P. : Africa, p. 50
(٢) Hoeble, E. Adamson : op. cit., p. 293
(٣) Murdock, G.P., op. Cit.: p. 50
(٤) Ibid, p. 51
(٥) Turnbull, Colin M. : op., cit., p. 286

هذا ويطرأ على مجتمع الأقزام تغييرات سريعة وكبيرة من سنة إلى أخرى لدرجة أن ترنبول Turnbull تعجب عند رؤيته إحدى حلاتهم (معسكراتهم Camps) المسمى بوتنام Putnam بعد عودته من رحلته الثانية فقد تحول اسم المنطقة من بات Pat إلى ابولو Epulu وهو اسم النهر الذى يعبر المنطقة .

ومن المتغيرات التى طرأت على المنطقة أن الغابة التى كانت تمتد على جانبى النهر عند حلة بوتنام قد أزيلت وحل محلها مجموعة من الموتيلات (فلاتس صغيرة) ، كما أصبح بعض الأقزام يشترى حاجاته بالنقود من السوق بدلا من الصيد والجمع فى الغابة(١) ، وكثيراً ما يرى الإنسان الآن فى فندق بوتنام Putnam بعض الأقزام يقومون بأعمال صبيه وفتيان الفنادق (٢).

(من : ترنبول)
لوحة رقم ١١ ـ زوجة تعد حزمة من
أوراق المونجونجو لتغطية سقف كوخها

ومن أهم المظاهر السائدة فى مجتمع الأقزام السيطرة الواضحة للزنوج(١)، ومع

---

(٦) Ibid, p. 29 .
(٢) Ibid, p. 30.
(١) Ibid, p.16

(من : ترنبول)

لوحة رقم ١٢ ــ اعداد أحدى الفتيات

لحفل العرس

ذلك يميل الأقزام إلى نبذ سلطة الفرد حيث يتجهون غالباً إلى سلطة الجماعة ويتركون كل فرد منهم وشأنه حتى أنه يحق للأبناء والزوجات أن يصطحب كل منهم من يشاء من الخلان(١). والغريب أنه إذا سأل أحدهم : لماذا لا يوجد رئيس أو مجلس لهم ؟ يجيب إجابة مبهمة : « لأننا سكان الغابة » ويقصد أن الغابة هى كل شىء(٢).

---

(١) Ibid, p. 125

(٢) loc. cit.

(من : ترنبول)

لوحة رقم ١٣ ــ قزم يستعمل قوس الصيد
كآلة موسيقية

وتتضمن إجراءات حفل الزواج (لوحة رقم ١٢) وحفل دخول الأفرادمرحلة الشباب بعض العادات التى تتضمن إختبار القدرة على تحمل صعاب حياة الغابة ، إذ يوضع الفتى فى كوخ من أوراق الأشجار لمدة ثلاث أيام حيث يطعم الابوجا Iboga (*) ثم يوخذ إلى داخل الغابة حيث يترك بمفرده عدة أيام ثم يعاد للحلقة مربوط اليدين خلف ظهره باعتبار أن الأرواح هى التى ربطت يديه وفى الحلة يعطى طعام الموز ؛ كى يبطل تأثير الأبوجا(١) .

ومجتمع الأقزام مجتمع أبوى للأب ؛ فيه المكانةالكبرى ، فهو الرئيس والحكم ورجل الدين ، وتتبع الزوجة الزوج فى كل شىء(٢) ؛ ويهتم المبوتى بالنظام والضبط

(*) طعام سكرى المذاق يصاحب أكله حدوث إثارة شديدة وتخيلات كثيرة .

(١) Frazer, Sir. James George : The Native Races of Africa and Madagascor. London, Parcy Lynd Humrhiois & co., ITD. 1938, p. 161

(٢) Ibid, p. 162

الاجتماعى الذى يعتمد أساساً على إحترام كبار السن ، وذلك فى سبيل عدم إقلاق الراحة والهدوء(٢) الذى تنعم بهما الغابة الاستوائية ويطلق الأقزام لقب «مانجس Mongese» على كبار السن . وتستعمل البابيرا هذا المصطلح أيضاً وقد يطلق أحياناً على أحد الشباب الذين يبلون بلاء حسناً فى الصيد كأن يصطاد فيلا أو بقرة وهو أعزل(٣) .

هذا ولا توجد سلطة مركزية عند المبوتى ورغم تقسيمهم إلى قبائل فرعية : أكا Aka ، وإيفى Efe ، وسيوا Sua وغيرها ، إلا أن المبوتى يمثلون وحدة بيولوجية واحدة ، وما هذه التقسيمات إلا نتيجة علاقتهم الخارجية(٤) بجيرانهم ومفهوم العشيرة band عند المبوتى هو : « مجموعة من الأفراد تطلب وتستخدم الحق فى إقليم أو منطقة معينة » . وتسمى كل عشيرة باسم المنطقة وكل فرد ولد فيها يعتبر المنطقة موطنه(٥) .

ولم يظهر أى فارق جوهرى فى عملية الإخاء التى يطلق عليها « نكومبى nkiumbi » عند الأقزام أو عند الزنوج الزراع(٦) : هذا ولم يعرف الأقزام الرق كما أنه لم يدخل فى نظامهم الإجتماعى ، وتقدم العشيرة على أساس المساواة egalitarian والديموقراطية مع تفضيل كبار السن ، وذوى الخبرة فى القيادة والزعامة خاصة فى إتخاذ قرار إتجاه الترحال ومكان الاستقرار(٧) ولا يوجد نظام سياسى موحد ، فيما عدا رئيس ينظم الاتصال بالجماعة الزنجية التى تلتصق بها العشيرة ، كما لا يوجد نظام معترف به لفئات السن فيما عدا فى الأماكن التى تخضع فيها العشيرة خضوعاً كاملا للزنوج . وبعامة يميل الأقزام للوداعة والسلام لدرجة أنه تندر

---

(١) Mair, Lucy : African Societies, p. 17 – 81

(٢) Turnbull, Colin M. : op. cit., p. 285

(٣) Hiernaux, Jean : The People of Africa, p. 115

(٤) Mair, Lucy : op. cit. p. 16

(٥) Turnbull, Colin M. : "Initiation among the Bambuti Pygmies of the Central Ituri "*In*: Ottenberg, Simon and Phoebe (ed.): Cultures and Societies of Africa. New York, Random House, 1960, p. 423

(٦) Murdock, G.P. : op. cit., p. 51

الخلافات والمنازعات بين العشائر القزمية ، وهم على عكس جيرانهم الزنوج لم ينغمسوا فى أكل لحوم البشر(١) .

والمبوتى لا يرغب فى ترك الغابة فهى وطنه ولكنه يحب أن يستفيد من زيارته للقرية (حيث يقطن الزنوج الزراع) التى تمثل عنده عالم الحرارة والغبار والازدحام، او على ذلك فان حظهم أفضل من كثيرين من الأفريقيين؛ الذين اضطرتهم ظروف الحياة إلى ترك أوطانهم سعياً للرزق وطلباً للمال لدفع الضرائب(٢) .

والعلاقة المتوارثة بين الأقزام والزراع مبنية على أساس أن لكل زارع قزم معين معروف له ويعتبر نفسه سيداً ومالكاً Owner له أو كما يسمى Kpara وتتوارث هذه التبعية للأخلاف عن الأسلاف بالنسبة لكل من الزنوج والأقزام على حد سواء. ويحق للقزم أحياناً اختيار الـ Kpara(٣) الخاص به . ويحاول الزنوج الزراع إدماج الأقزام فى القرية عن طريق إعتبارهم جزء منهم؛ لذا يسمى الـ Kapara(*) قزمه إبنه my child(٤)، ولذا يطلق على علاقة الأخوة التى تنشأ بين طفل من القرية مع قزم لفظ كبير kare ، وتلك تنشأ حقوقاً وواجبات بين كل منهما إزاء الآخر(٥) .

هذا والملاحظ أن ذكاء الأقزام الأفريقيين واضح(٦)، كما أنهم يميلون للموسيقى (لوحة رقم ١٣) وهم ماكرون ونزاعون للإنتقام وشكاكون ولكنهم لا يسرقون إطلاقاً(٧) . ويبدو أن الفرد القمىء يزاول نفس الأعمال التى يحترفها الأقزام أساساً التى لا تحتاج إلى مجهود عضلى ولا عقلى كبير مثل صناعة الشباك وما شابهها(*) .

---

(١) Loc. cit.

(٢) Mair, Lucy : African Society, p. 12

(٣) Loc. cit.

(*) أو (Trubull, colin, M. : op. cit., p. 283) Bakpara,

(٤) Mair, L. : op. cit.,p. 23.

(٥) Loc.cit.

(٦) Keane, A.H. : Man Past and Present, p. 125

(٧) Loc. cit.

(*) كان عم عبده قراج السابق الإشارة إليه (ص ٤٤) يقوم فى شبابه بعمل شباك صيد الأسماك والستائر المنزلية بإتقان وسرعة فائقتين، كما كان مسالماً وهادىء ولكن مع شئ من الحذر والريبة .

هذا وتعتبر الدراسات الإجتماعية التى تجرى على الأقزام الأفريقيين من أهم الدراسات الحالية التى يهتم بها الانثروبولوجيون خاصة وأنها تعتبر خير مرشد للباحثين فى الاكلوجيا القديمة ؛ حيث يمكنهم الاستدلال منها على أنماط الحياة القديمة التى كان يزاولها أسلاف الإنسان فى العصور الحجرية(١) ، وعلى ذلك فلن نتجاوز الحقيقة إذا ذكرنا أن الأقزام الأفريقيين وغيرهم ممن يشبهونهم فى أنماط وأساليب الحياة والسلوك يعيشون فى العصور الحجرية الحديثة المعاصرة .

---

(١) Wai - Ogusu, Bassey : Subsistence Ecology of Living Hunter Gathers as an Aid to Prehistoric Studies," *In*:Bulletin de l'Intitute Fendamental d'Afrique Noire. Series B,Vol. 32, No. 3, 1970, p. 642-652

الخاتمـة والنتائج

يعتبر النجريللو جماعة عرقية Ethnic group (Stirps group) (*) متميزة . هذا وترجع شهرة الأقزام إلى الوحدة الواضحة فى قصر القامة الشديد ، وكان هذا من أسباب قول تنبول Turnbull, Colin M. بتلاومهم مع البيئة ، ويظهر ذلك فى إعتماد جيرانهم الزنوج من مكتملى النمو عليهم فى دخول الغابة والحصول على خيراتها من نبات وحيوان نظراً لخوفهم من ولوجها(١) ، هذا وقد أوضحت دراسة ترنبول الميدانية أن الفكرة الشائعة عن إعتماد الأقزام على الزنوج وإعتبارهم أسياداً لهم ما هى إلا أسطورة إذ ما إن يترك القزم قرية الزنوج ويدخل الغابة حتى يصبح سيدها(٢) .

والملاحظ أنه فيما عدا ارتفاع القامة القزمية والمظهر الطفولى للوجه يكاد لا يوجد إختلاف مورفولوجى كبير بين الأقزام وبين جيرانهم الزنوج الزراع(٣) .

وقد إعتبر بعض الانثروبولوجيين يوماً أن الأقزام هم أقدم الأنماط البيولوجية للجنس والنوع الإنسانى(٤) . ويبدو أن الأقزام الأفريقيين يحملون الكثير من السمات الخاصة بجميع المجموعات والجماعات القزمية الأفريقية الأخرى ، تضح ذلك أخيراً رغم قلة فرص دراستهم مورفولوجياً، إذ لم يستطع باحث نشط مثل كون Coon, C.S.

(*) ويقصد بالجماعة العرقية « رهط من الأنام (الأناس) متميزة داخلياً ومتمايزة خارجياً ، سلالياً أو ثقافياً أو قومياً أو بعضهما أو كلها معاً » (فاروق مصطفى إسماعيل : العلاقات الاجتماعية بين الجماعات العرقية ، دراسة فى التكيف والتمثيل الثقافى الاسكندرية . الهيئة المصرية الاسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ٤٧) ويقصد بها أيضاً « جماعة عنصرية وجماعة سكانية تحدد اعتباطاً ، ويمكن تميزها عن الجماعات السكانية الأخرى التى يضمها النوع على أساس إمتلاكها — إلى حد ما — على عدة صفات جسمية وثقافية إنتقلت عن طريق وراثة مشتركة » .

Montagu, A. : Human Heredity" . p. 386).

(١) Gibbs, James L. (ed.) : Peoples of Africa. p. 280

(٢) Loc. cit .

(٣) Hulse, F.S. : The Human Species, p. 363

(٤) Montagu, Ashely, An Introduction to Physical Anthropology, p. 431

الذى اطلع ــ كما يذكر (١)ــ على عدة مئات من صور الأقزام من أن يرى شخصياً إلا رجلا و حداً منهم فقط هو « إيلومبي Ilombé » رئيس جماعة بامبنجا Bambenga فى شمال غرب زائير ، الذى كان يعتبر كما يذكر كون نموذجاً صغيراً من القوقازيين أو الحاميين . هذا والملاحظ أن قليل من الأقزام من يشبه البوشمن والهوتنتوت(٢) .

ويبدو أن الأقزام قد بدأوا فى الانكماش والتقلص عدداً وانتشاراً قبل أن يتجه أسلاف الحاميين والكيبوانيين(*) نحو الجنوب(٣) ، ومعنى هذا أنهم يمثلون مجموعة سلالية وجماعة عرقية فى سبيلها للإنقراض ، هذا ولم يعرف حتى الآن بالدقة عدد الأقزام الأفريقيين الخلص(٤) . والملاحظ أنه يندر أن يعيش أحدهم أكثر من أربعين عاماً(٥) . وبالإضافة إلى ذلك فانه يبدو أن السبب الرئيسى فى انقراض سلالة أقزام أفريقيا يرجع إلى الانفتاح الجينى بينهم وبين الجماعات الزنجية الأخرى . من البانتو طوال القامة (كاملى النمو)(٦) ، ومما يرجع ذلك أن صفة طول القامة صفة سائدة ترجح صفة القصر أو القزمية المتنحية(٧) .

من ذلك نشأت فكرة كون Coon, C.S التى دعى فيها إلى محاولة إدخال الأقزام حقل التجارب العلمية المعملية(*) ، حيث يقول أنه يمكن كى نعرف صفات أسلاف الأقزام كاملى النمو أن نأخذ أطفالا من الأقزام الحاليين ونحسن إطعامهم

---

(١) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 654

(٢) Loc. cit.

(*) أو الكابوانيون كما يسميهم غلاب وهم إلى حد ما البوشمن والهوتنتوت (فاروق عبد الجواد شويقة : المجموعة الكيبواتية . فى : مجلة الدراسات الإفريقية . ع ٥ ، ١٩٧٦)

(٣) Coon, C.S. : Op· cit., p. 654

(٤) Delafosse, Maurice : The Negrose of Africa, p. 7

(٥) جورجى زيدان « عجائب المخلوقات ؛ البجمة » فى : كتاب الهلال . ج ٧ ، س ١١٤ ، أبريل ١٩٠٥ ص ٤١١ — ٤١٥ (ص ٤١٤) .

(٦) Keane, A. Man Past and Present, p. 124

(٧) Montagu, Ashley: Human Heredity, 2nd. rev. ed. New York, The Warld Publishers co., 1963, p. II5

(×) أسوة بالاختبارات الطبية التى تجرى على المرضى ببعض الأمراض النادرة .

وإعطاءهم الهرمونات الناقصة لديهم والتى تجعلهم ضئيلى الأجسام ، ويقول أن تلك ستكون مشاهدة دقيقة وشيقة وأن الأقزام سوف يظهروا تجاوباً واضحاً(١) .

هذا وقد فرقت الدراسة أيضاً مفهوم القزامة pymoid والقماءة dwarfism كما أوضحت أنه يوجد ترابطاً معنوياً (يصل إلى ٢٢ر٠) بين القامة القزمية وبين القرب من خط الاستواء .

ونظراً للذوبان الثقافى شبه التام الذى يزاوله الأقزام فى مجتمع الزنوج الزراع المجاورين ، فلم يفرد لهم مردوك Murdock, P.G. قسماً ثقافياً خاصاً بهم(٢) ، وإنما إعتبرهم فى حقيقة الأمر جماعات تابعة وأقلية متميزة فى مجتمع زنوج البانتو الزراع ،وهم يعتمدون فى حياتهم على الجمع والصيد وهى أدنى الأنماط الاقتصادية فى الحياة إذ يقوم نظامها على الاستهلاك الكامل للبيئة الطبيعية(*)،ولا يحاول بأى صورة من الصور تنميتها(٣) ، ويشبه الأقزام فى ذلك إيكونج البوشمن Bushmen Ikung(٤) ، ومع ذلك فان النجريللو يعيشون تحت مظلة نظام إقتصادى قائم على العلاقات التجارية التكافلية sumbiotic trade relations ، بينهم وبين زنوج البانتو المجاورين لهم ، وتتبلور هذه الظاهرة فى تحدثهم بلغة الزنوج المتعايشين معهم(٥)،

---

(١) Coon, C.S. : The Origin of Races, p. 113

(٢) Murdock, P.G. : Africa, p. 272

(*) أصبح مفهوم التخلف غير دقيق بل لقد أصبح إستعماله مضللا ، إذ مهما كان إنخفاض المستوى التعليمى والتكنولوجى والحضارى عامة لمجموعة من السكان فإن تلاؤمها الكامل مع بيئتها يضعها فى أنسب وضع ثقافى ممكن فى زمانها ، وعلى ذلك فليس هناك معنى ولا دلالة لاستعمال مصطلح « مجتمع متخلف » الذى يستعمل أحياناً . (Montagu, A. : The Humanization of Man. New York, world Publi- shing co. 1965 p. 285).

(٣) Gibbs, J.L. : Peoples of Afirca. New York, Hoat, 1965, p.

(٤) فاروق عبد الجواد شويقة : « المجموعة الكيبوانية » ، مصدر سابق .

(٥) Beals, Ralph, L. & Haijer, : op . cit., p. 332

والذين يسيطرون تماماً ويتحكمون فى المنطقة كلها ، لذلك فليس غريباً أن يبدو أن عالم الأقزام فى الغابة الاستوائية أصبح على وشك الذوبان والزوال فى المستقبل المنظور وسيزول معه أهله .

عرفان

يقدر الباحث الزملاء الأكاديميين الذين عاونوا ببعض المادة العلمية فى غير تخصصه العام (الأنثروبولوجيا الجغرافية) والدقيق (الاكلوجيا البشرية) والأدق (أنثروبومتريا الأحياء) ، كما يشكر — ودائماً — الزملاء المكتبيين فى مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة على تعاونهم القيم المخلص . ويشيد ويذكر بالحب والتقدير صاحبة الآمال والآلام .

بيبلوجرافيـــــة

1. Abou-al Hagag, Y. : ما هو الجنس ؟ . القاهرة، مكتبة الشرق، ١٩٥٨ (مترجم)

2. Abou-Zeid, Ahmed : البناء الاجتماعى ؛ مدخل لدراسة المجتمع . ج ١ المفهومات: ط ٣. الاسكندرية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠

3. ———— : « التنمية الاقتصادية والتغير الاجتماعى فى إفريقيا ؛ مثال: من السودان: مشروع «الزاندى» . فى: المجلة الاجتماعية القومية القاهرة ، مج ١ ، ع ٣ ، سبتمبر ١٩٦٤

4. ———— : سكان برقة (ليبيا) ؛ دراسة فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية: فى : محاضرات الجمعية الجغرافية المصرية ، الموسم الثقافى لعام ١٩٦١

5. ———— : ما وراء التاريخ ، تأليف وليم هاولز. القاهرة، (مترجم): دار نهضة مصر ، ١٩٦٤

6. Al-Adley, Faruq. : المجتمع القروى وثقافته، تأليف ردفيلد . (معلق ومترجم): ط ٢ . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥

7. Al-Sa'ati, Hasan : التصنيع والعمران ؛ بحث ميدانى للاسكندرية وعمالها : ط ٢ . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢

8. Awad, Muhammad Awad : الشعوب والسلالات الإفريقية . القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٤ .

9. Baker, Jehn R. : Race. London, Oxford Univ. Press, 1974

10. Baxter, P. T. W. and Butt, Audrey : The Azande and Related People of the Anglo-Eygptian Sudan and Belgian Congo. London, International African Institute, 1953

11. Beals, Ralph L. & Heijer, Harry : An Introduction to Anthropoloyg. 4 th. ed. 2nd. pr. New York. Macmillan Co., 1972

12. Benedict, Ruth : Patterns of Culture. 6 th. pr. Boston, New Amercian Library, 1959

13. Cappieri, Mario : "The Racial Homogenity of th Andaman : I, II" *In* : Mankind Quarterly. No. 10,11, 1970

14. Chiled, V. Gordon : Man Makes Himself. Rrev. ed. New York, New American Library , 1951

15. Cohen, Marseletaf : Les La nge du Mond. Paris, Centre National de La Reche- rch Scietinfique, 1952

16. Comas, Jaun : Manual of Physical Anthropology. Springfield, Charles C thomas, 1960

17. Cole, Soania : Races of Man. 2nd.ed. London, British Museum, 1965

18. Coon, C. S. : The Origin of Races. London, Jonathan Cape, 1963.

19. ———— with Hunt, E.E. : The Living Races of Man. New York, Alfred A. Knopf, 1965

20. Coon, C.S. (ed.) : A Reader in General Anthropology. New York, Henry Holt and Co., 1948

21. Delafose, Maurice : The Negroes of Africa ; History and Culture, Thanalsted into English By : Flibelman, F. Port Washi- ngton, Kennikat Press, 1968

22. Dobzbansky, T. : Mankind Evolving. New Haven, Yale Univ. Press, 1962

23. Downs, James F. & Bleibtreu, Hermann K. : Human Variation ; An Introduction to Physical Anthropology. re. London, Glencere Press, 1972

24. Evans - Pritchard, E.E. : The Azande ; history and Political institutions. Oxfored, Clarendon, 1971

25. Frazer, Sir James George : The Native Races of Africa and Madagascar London, Percy Lund Humphries & Co., 1938

26. Frisbie, Charlotte J. : "Anthropological and Ethnomusicological implications of a comparative analysis of Bushmen and African Pygmy music "*In* : Ethnology. Vol. 10,No. 3, 1971

27. Garn Stanly M. : Human Races. 2nd. ed. 3rd. pr. Springfield. Charls C Thomas, 1965

28. Gates, Reginald Ruggles : Human genetics. New York. The Macmillan 1964

29. Ghallab, M.A. : تطور الجنس البشرى. ط ٥ .القاهرة ،مكتبة الأنجلوالمصرية، ١٩٧٤

30. ———— : (مترجم) السلالات البشرية الحالية، تأليف كارلتون كون . القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٥

31. Gibbs, James L. (ed). : Peoples of Africa. New York, Holt Rinehart, 1965.

32. Goldsby , R.A. : Race and Races. New York, Macmillan, 1971.

33. Gohari, Y. : الإنسان وسلالاته . الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٣

34. Greenbe.g, Joseph H. : The Languages of Africa. 2nd. ed. The Hague. Bloomington, 1966.

35. Gusinde, M. : "Pygmies and Pygmoids". In Anthropologcal Quarterly, Vol. 28, Mo. I , 1955

36. Hasan, Selim : مصر القديمة . ج ١ . القاهرة ، مطبعة الكوثر ، ١٩٤٠

37. Hiernauw, Jean : The People of Africa. London, Weidenfeld & Nicolson, 1964

38. ———— : "Les Bushong et les Twa du royaume Kuba (Congo-Leopoldville), pygmees, pygmodies et pygmés ation, anthropologice, linguistique et expansion bantoure." *In :* Bullatines Memorie de la Societe d'Anthropologie de Prais, Vol, 9, 1972

39. Hoebels, E. Adamson : Anthropology ; The Study of Man . 4 th ed. New, York, McGraw Hill, 1972

40. Hooten, E.A. : Up From the Ape . 2nd. Rev. ed. New York, Macmillan 1964

41. Howells, W.W. : Mankined in the Making ; The story of Human Evolution. New York , Dobulbeday, 1959

42. Hulse, Frederick S. : The Human Species ; An Introduction to Physical Anthroplogy. 4 th. pr. New York, Random, 1965

43. Hunt, E. : "The developemental genetics of man" . *In* : Faulkner, F. (ed.) : Human Development. Phyladelphia, Saundaers, 1966

44. Huntington, E. : The Character of Races. New York, Charles Scribner 1925

45. Johnston, Sir Harry H. : The Opening Up of Africa. New York, Henry Holt & Co. 1911

46. Keane, A. H. : Man Past and Present. Revised and largerly rewritten by: Hingston, A. Q. and Haddon, A. C. ; London, Cmabridge, Univ. Press, 1950

47. Kelso, A.J. : Physical Anthropology ; an introduction. Philadelphia, J.B. Lippincott, 1970

48. King, James C. ; The Biology of Race. New , Harcourt, Brace Javanvich, 1971

49. Lefrou, G. : Le Moire d' Afrique, Paris. Payot, 1943

50. Linton, Ralph : Tree of Culture. New York. Alfred A. Knopf, 1955

51. Mair, Lucy : African Societies. London, Cambridge Univ. Press, 1974

52. Matiegha, J. et Maly, J. : "Etude de quature squelettes de Pygmees centre-africains du bassin d'1Ituri". *In* : L' Anthropologic. Vol, 48, 1938

53. Meillet; A. & Cohen, Marcel (ed.) : Les Langues du Monde. Paris, Centre National de la Recherche Scientifique, 1952

54. Montagu, Ashely : An Introduction to Physical Anthropology. 3erd. ed. Springfield, Charles C. Thomas, 1960

55. ———————— : Human Heredity. New York, World Publishing, 1963

56. ———————— : The concept of Primitive. New York, The Free Press, 1968

57. Morel, Pierre : L'Anthropologie physique. Paris, Presses Univ. de France, 1962

58. Morgan, L. H. : Ancient Society. New ed. New York, World publisher, 1963

59. Murdock, Geerge P. : Africa ; Its Peoples and Their Culture History. New York, McGrow-Hill ,1959

60. Ottenberg. Simon and Phoebe (ed.) : Cultures and Societies of Africa. New York, Ranon House, 1960

61. Pales, L. : "Contribution a l'etude anthropologie des Babinga de 1' Afrique Equatoriale Francaise. "*In* : L'Anthropolagie, Vol. 48, 1938

62. Riyad, Muhammed : الإنسان ؛ دراسة فى النوع والحضارة . ط ٢ . بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤

63. ———————— ; Ald el Raseul, K. : أفريقيا ؛ دراسة لمقومات القارة بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٦

64. Rizkaana, I. : العائلة البشرية . القاهرة ، مكتبة الآداب ، ١٩٥٠

65. Roberts, O. F. : "Body Weight Race and Climate". *In* : American Journal of physical Anthropology. new series II, 1953

66. Restan, J. : الإنسان ، ترجمة محمد عبد الرحمن مرحبا . بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٦٤

67. Savean, H.S. : علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) . بيروت ، مكتبة عرفان، ١٩٦٦

68. Seligman, C. G. : Races of Africa. 4 th. ed. 2 nd pr. London, Oxford. Univ Press, 1966

69. Seeudy, M.A. : « الاتصالات العربية الأفريقية فى العصور القديمة » . فى معهد البحوث والدراسات العربية: العلاقات العربية الأفريقية . القاهرة ، ١٩٧٧

70. Sergi, G.:The Mediterranena Race ; A study of the Origin of European Peoples. London, 1901

71. Shuwayqah, Faruq : A. : « الأكلوجيا البشرية ؛ المفهوم المجال الهدف » . فى : مجلة الدراسات الأفريقية . القاهرة ، ع ٣ ، ١٩٧٤ .

72. ———————— : « الإنسان .. الإنسان ؛ دراسة مستوحاة من القرآن الكريم عوة إلى تكوين وعلم جديد » فى: مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة . (١٩٧١) .

73. ———————— : « المجموعة الكيبوانية » . فى : مجلة الدراسات الأفريقية . القاهرة ، ع ٥ ، ١٩٧٦ .

74. Sporcq, J. : " Les Bird de la savane et les Bira de la Faonet ; etude compa rative de deux populations de la Republique. Democrotique du Conog. "*In* : Bull. Mean. Sec. Anthrop. Paris, Vol, 9, 1972

75. Stein, P. L. & Rawe, Brua M. : Physical Anthropology, Now. York, Mac Graw Hill, 1974

76. Swanson, Carl P. : The Natural History of Man. New Jersey. Egle-wood Cliffs, 1973

77. Swift, Gonathan : Gulliver's Travels Parts I- *Iv* . London, Heinemann Education Books, 1964

78. Turnbull, Colin M. : The Forest People ; A study of the Pygmies of the Congo, 9.th. pr. NeW York, Simon and Schuster, 1961

79. ———————— : Man in Africa ; From Cairo to the Cape of Good Hope. New York, Anchor Press , 1967

80. Vallois, Henri - V. : Les Races Humaines. Paris, Presses Univ. de France 1951.

81. Van De Ginste F. : "Anthropometric study on the Barend and the Bahusu of the Belgian Congo. In : Am. Jour. of Physical Anth., Vol, 4, 1976.

82. Wai - Ogusus, Bassey : "Subsistence Ecology of Living Hunter Gathers as an Aid to Prehistric Studies. "*In* : Bulletin de L'Institute Fondamental d'Afrique Noire, Paris. series B, Vol. 32. No. 3, 1970

83. Wasfi, A. : ١٩٧١ ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت . الأنثروبولوجيا الثقافية

84. Willcox, A.R. " Size and the Hunter". *In* : South African Journal of Science. Vol. 67, N0 5, 19

85. Young, J. Z. : An Introduction to The Study of Man. London, The Clarendon Press, 1971

86. Zaydan, J. : ١٩١٢، مطبعة الهلال ، القاهرة . طبقات الأمم ، أو السلا ئل البشرية

فاروق عبد الجواد شويقة

لنـــدن

فى سبتمبر (رمضان) ١٩٧٧